همايش بين المللي امام سجاد عليه السلام

الكَون و السماء عند الإمام السجاد عليه السلام

السيّد عبدالأمير المؤمن

بمناسبة إقامة المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحیم

الكون والسّماء عند الإمام السجّاد عليه السلام

الوعي الفلكيّ في الصّحيفة السجّاديّة

السيّد عبدالأمير المؤمن

سر شناسه: مومن، عبدالامیر

عنوان و نام‌پدیدآورنده: الکون والسماء عند الامام السجاد علیه السلام / مولف السید عبدالامیر المومن

مشخصات نشر: قم: مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام، ۱۴۳۶ق= ۱۳۹۴.

مشخصات ظاهری: ۷۲ص

شابک: ۲-۸۳٦-۵۲۹-۹٦٤-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: این اثر به مناسبت برگزاری همایش بین المللی امام سجاد علیه السلام منتشر شده است.

موضوع: علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق.— نجوم

موضوع: علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق. صحیفه سجادیه.-- نجوم

موضوع: نجوم اسلامی

شناسه افزوده: همایش بین المللی امام سجاد علیه السلام (۱۳۹۴، تهران)

شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام

رده بندی کنگره: ۱۳۹۴ ۹ک ۸م/ ۴۲ BP

رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۲

اسم الكتاب: الكون والسماء عند الإمام السجاد عليه السلام

المؤلّف: السيّد عبدالأمير المؤمن

الموضوع: التاريخ والحديث

التصحيح والاخراج الفني: قاسم البغدادي

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الأولى

المطبعة: مجاب

الكمية: ۱۰۰۰

تاريخ النشر: ۱٤۳٦ هـ. ش

ردمك: ۲_ ۸۳٦ _ ٥۲۹_۹٦٤_۹۸۷ : ISBN

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام

العنوان: قم، شارع جمهوري اسلامي، رأس الفرع ٦، الهاتف: ۳۲۱۳۱۲۲۱_ ۰۲٥

طهران، شارع كشاورز، مقابل منتزه لاله، رقم ۲۲۸، تلفن: ۸۸۹۷۰۱۷۱ _ ۰۲۱

www.ahl-ul-bayt.org www.abwacd.com

info@ahl-ul-bayt.org www.abna.ir

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام

في السنّة النبويّة

إنّي تاركٌ فيكم الثقلين

أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود

من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما

لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض

مسند أحمد ٣ : ١٤ و ١٨ (ما أسند عن أبي سعيد)

سنن الترمذي ٥: ٣٢٩ / ح ٣٨٧٦

المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ و ١٤٨.

فضائل الصحابة للنسائي: ١٥ (باب فضائل علي عليه السلام)

المعجم الأوسط للطبراني ٣ : ٣٧٤

مقدّمة المجمع

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تجسّد الإسلام المحمّدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة.«فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا». إنّ هذه المدرسة الثرّة والوضّاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبإرشادات الأئمة الأطهار عليهم السلام، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وليد هذا التغيير المبارك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئي(مُدّ ظلّه الوارف) في عام ١٩٩٠م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليلة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت عليهم السلام والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

إن المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وفي سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام وترصين دعائم البيت الشيعي، قامت بتأليف الكتب واصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافّة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفي شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولي للإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام.

وهنا أرى لِزاماً عليَّ أن أقدّم شكري للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العام

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام سماحة الشيخ محمّدحسن الاختري(دام عزّه)، وسماحة آية الله الشيخ قربان علي دري نجف آبادي، نائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع ورئيس اللجنة العلمية لمؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام. وسماحة الشيخ محمّد سالار معاون الشؤون الدولية، والمهندس مجد حكمت معاون الشؤون التنفيذية، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر أصحاب السماحة: الشيخ محمّدهادي اليوسفي الغروي، السيّد محمّدرضا الحسيني الجلالي، السيّد محسن الحسيني الأميني، السيّد منذر الحكيم، الشيخ حميدرضا المطهّري، الشيخ رمضان المحمّدي، السيد محمّدرضا آل أيوب، والشيخ عبّاس الجعفري مدير لجنة الدراسات الاستراتيجية وسكرتير اللجنة العلمية لإقامة المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام.

وكذلك نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيّمين: سماحة آية الله الشيخ محمّدمهدي الآصفي، الشيخ قيس بهجت العطّار، السيّد راضي الحسيني، السيّد عبدالأمير المؤمن، السيّد أمين السعيدي، السيّد محمّد المروّج، عبدالكريم الكرماني، محمدعلي معينيان، محمّدجواد الخرسندي، حسين الصمدي، حسين الصالحي، قاسم البغدادي، جواد الجعفري، وبرويز الكاظمي، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين بنشر فكر وتراث أهل البيت عليهم السلام.

نجف لك زايي

معاون الشؤون الثقافية

المقدّمة

الكون والسماء والنجوم والكواكب والظواهر الفلكيّة المتنوّعة هي معان علميّة إلهيّة وَفَّرها القرآن الكريم وأبناء القرآن ـ الرسول الأعظم والأئمّة الكرام (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ـ قبل أن يجهد علماء الكون والفلك في انتزاعها من الطبيعة وقراءتها علميّاً وثقافيّاً.

وبين يدي القارئ الكريم بحث علميّ يقع ضمن سلسلة أبحاث علميّة هدفتُ بها قراءة الجانب العلميّ والفلكيّ من سيرة أئمّة آل بيت الرسول الأكرم عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد وفّقني الله سبحانه وتعالى والحمد لله لكتابة المعاني الفلكيّة والكونيّة في القرآن الكريم[1]. والمعاني الفلكيّة والكونيّة عند الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام[2]، والإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام[3]. وها أنا أوفّق مرّة أخرى تلبيّة لدعوتكم للمشاركة في الكتابة لمؤتمر الإمام السجّادالدولي.

وعلى الرغم من أنّ فكرة الموضوع (موضوع الوعي الفلكيّ عند الإمام السجاد عليه السلام) كانت جاهزة ضمن مشروع الكتابة العلميّة والفلكيّة عند الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وانني أنجزتُ بعضه، إلا أنّ فكرة الكتابة الفعليّة عن الإمام السجاد عليه السلام كانت مؤجلة مؤقتاً إلى وقتها المناسب.

---

(١) اسم الكتاب: الفلك والفضاء في القرآن الكريم، بيروت، (تحت الطبع).

(٢) اسم الكتاب: السماء والكون في القرآن الكريم ونهج البلاغة (مطبوع) سنة ١٤٢٨.

(٣) بحث بعنوان: الفلك والسماء عند الإمام الرضا عليه السلام، قدّمته إلى الآستانة الرضويّة المقدّسة (مشهد) ١٤٢٨، ونال تقديراً وجائزة.

وحين قرأت دعوتكم الكريمة بادرت إلى التنفيذ الفوريّ، معتمداً على الله تعالى، وعلى ما توافر لدي من عناصر البحث وأوّليّاته، ليصبح بعد جهد متواصل بحثاً أرجو من الباري عز وجل أن يُرضي الإمام السجّاد، ويكون في ميزان أعمالي إنّه سميع مجيب.

ولا أشك في أنّ المادّة الفلكيّة المتوافرة بين ثنايا الصحيفة السجّاديّة هي جزء مما في صَدْر الإمام من مادّة علميّة وفلكيّة، ويستطيع الباحث العثور على المزيد من المعلومات العلميّة والفلكيّة إذا أجهد نفسه، فالإمام السجّادالذي قال وما أروع ما قالعليه السلام: «...**سبحانك ترى ما في قعر الماء، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار، سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرّة**»[١]، فالإمام الذي قال هذه الفرادة العلميّة البليغة، كيف ستتوقع أن تجد أفكاره العلميّة الأخرى. إنّه الإمام عليّ بن الحسين بن عليعليهم السلام سليل الدوحة المحمديّة وعلمه من علمهم وهو علم القرآن، علم الله سبحانه وتعالى.

والبحث الذي بين يدي القارئ الكريم هو بحث موجز اقتصرتُ فيه على ما استطعت التقاطه من مادّة فلكيّة وكونيّة وردت في الصحيفة السجّاديّة الكريمة: كخَلْق الكون والسماء والسماوات وأهل السماء والكرة الأرضيّة والليل والنهار والقمر والهلال وغيرها.

وَمَعَ كلّ ما التقطتُ حاولتُ أن أقرن معه ما يناسبه مما ورد من مادّة فلكيّة

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣ ص٣٨.

وكونيّة في القرآن الكريم أو نهج البلاغة أو الفلك الحديث (ما أمكن ذلك) ليكون البحث أكمل وأتمَّ.

أسأل الباري عز وجل أن يوفِّقنا جميعاً لخدمة القرآن الكريم والرسول الأعظم وآل بيته الكرام وعلومهم الإلهيّة إنّه سميع مجيب.

عبد الأمير آل مرتضى المؤمن

باحث إسلامي في الفلك والتراث العلمي

أولاً: معنى الكون والسماء

قبل الدخول في صلب الموضوع، لابدّ من توضيح مصطلحي الكون والسماء، لنكون على بيّنة من موضوعنا الذي نريد قراءته ودراسته.

فالكون في الأساس مصطلح تراثي قديم أخذ معنىً علمياً جديداً، أخذ معنىً فلكياً بعد تطوّر علم الفلك وتوسّعه.

فالكون في المصطلح الفلكيّ الحديث هو: «الكلّ الشامل لكلّ ما هو موجود، ماعدا الله سبحانه وتعالى، يشمل كلّ شيء من أصغر الأشياء (الذرّات ومحتوياتها) إلى أكبر الأشياء: الكواكب والنجوم والمجرّات والمجامع المجريّة، من المادّة المنظورة وغير المنظورة إلى قوى الطبيعة المختلفة من قوى وطاقات وقوانين.

لا أحد يعرف مدى حجم الكون، لكن علماء الفلك يقدّرونه من خلال بلايين المجرّات والسدم المنتشرة فيه، فيعتقدون أنّ في الكون أكثر من بليون مجرّة تتألّف كلّ واحدة من أكثر من مئة بليون نجم ماعدا السدم، ولا يعرفون ما إذا كانت هناك أكوان غير كوننا الذي نعيش فيه.

ويمكن أن تختصر الكلام في الكون فنقول: «الكون هو كلّ المادّة والطاقة والزمان والمكان وكلّ شيء يمكن إدراكه في أيّ جزء من أجزاء هذا الكون»[1].

ويدرس هذا الكونَ (علمُ الكون) cosmology وعلم نشأة الكون cosmogony وهما فرعان جديدان من علم الفلك يدرس الأوّل بدايّة الكون وكيفيّة تغيره مع الزمن[2]، ويدرس الثاني: ولادة الكون ونموّ المكوّنات الأساسيّة فيه كالمجرات

(١) قاموس دار العلم الفلكيّ، عبد الأمير المؤمن، ص٤٠٣.

(٢) قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، ص٣١٢.

والنجوم والأنظمة الكوكبيّة[1]. وهناك فروع فلكيّة أخرى تدرس الكون أيضاً لا مجال لذكرها هنا[2].

أمّا السماء فهي موضوع تراثيّ قديم معروف مازال مستخدماً بمعناه اللغويّ القديم، وإن تطوّرت سماء اليوم من خلال الاستكشافات الكثيرة عن سماء الأمس.

فالسماء كما وردت في القواميس: بمعناها العامّ، هذا الفضاء العالي المقابل للأرض، أو تلك (القبة) الكبرى الزرقاء التي فوق الرؤوس، وفي اللغة العربيّة هي العلوّ، وسماء كلّ شيء أعلاه.

وفي علم الفلك هي هذه الكرة السماويّة التي تحتوي على مختلف الأجرام السماويّة، النجوم والشمس والكواكب والأقمار والمذنّبات والنيازك والظواهر السماويّة الأخرى.

والسماء القريبة أو الغلاف الغازي المحيط بالكرة الأرضيّة، هي وحدها زرقاء أو قريبة من الزرقاء. ويرجع اللون الأزرق إلى تشتّت موجات الضوء من خلال حبيبات الغبار والبخار، فتمرّ الموجات الطويلة، بينما تشتّت الموجات القصيرة (الزرقاء) في الجوّ، وكلّما صغرت الحبيبات قلّت كميّة الأشعة المشتّتة، وصار اللون أزرقَ صافياً. أما الحبيبات الكبيرة، فتقوم بتشتيت موجات أخرى إلى جانب اللون الأزرق، فتبدو السماء بيضاء أو ضبابيّة... أمّا وراء الغلاف الغازي وانتهاء مرحلة التشتت الغازي فالسماء سوداء تمتدّ بامتداد الكون وعمقه[3].

وفي القرآن الكريم وردت السماء في عدد من الآيات القرآنيّة، وردت مفردة (سماء) ووردت جمعاً (سماوات)، وردت ٣١٠ مرّات وبمعان متعدّدة كما

---

(١) المرجع السابق، ص٥١٢.

(٢) انظر: كتابنا الكون نظرة تراثيّة ومعاصرة، ففيه تفصيل لمعنى الكون وما يتعلق به.

(٣) قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، ص٢٦١، وراجع في اللغة المصباح المنير للفيّوميّ، مادّة (سما)، ص٢٩٠.

سنأتي على ذلك لاحقاً.

وفي الوقت الحاضر قَلَّ استخدام كلمة السماء في علم الفلك، وأخذت كلمة الكون والفضاء مكاناً واسعاً في الفلك الحديث والمعاصر.

ثانياً: الكون والسماء في القرآن الكريم

قبل الدخول إلى رحاب الكون والسماء عند الإمام الرابع عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام لابد من الدخول لساحته الفلكيّة الإلهيّة لنقرأ شموليّة القرآن لكل ما يشمل من عناصر تصبّ في خير الإنسان دنياً وآخرة، فهو هدىً ورحمةٌ للمؤمنين والعالمين قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وهو كتاب يخرج البشريّة من ظلمات الجهل إلى نور الحياة قال سبحانه وتعالى: ﴿الر* كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[2]، وهو في الوقت نفسه تبيانٌ لكل شيء قال تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾[3] ﴿...مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾[4].

ومن شموليّة القرآن الكريم وسعته ايرادُهُ مادّة فلكيّة وسماويّة علميّة كثيرة، شملت كلّ الموادّ الفلكيّة والفضائيّة الأساسيّة المعروفة كالفلك والسماء والنجوم والشمس والقمر والأرض والكواكب والبروج والشهب ومصطلحات فلكيّة كونيّة كثيرة أيضاً كالأفق والشفق والمواقع والانشقاق والمنازل والدريّ والثاقب وغيرها[5].

وهي بالطبع مادّة فلكيّة إجماليّة على عمومها لم ترد لأجل الفلك نفسه وإنما جاءت حقائق وشواهد وأمثلة واقعيّة حقيقيّة لتصب في الهدف القرآنيّ الأساسيّ وهو بناء الإنسان دنياً وآخرة وهدايته وإخراجه من الظلمات إلى النور والخير.

وقد تنوعت هذه المادّة الفلكيّة والفضائيّة من الدعوة إلى النظر والتأمّل في

---

(١) سورة النمل، الآيّة: ٧٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآيّة: ١.

(٣) سورة النحل، الآيّة: ٨٩.

(٤) سورة الأنعام، الآيّة: ٣٨.

(٥) توسّعنا في ذلك في كتابنا: الفلك والفضاء في القرآن الكريم، بيروت (تحت الطبع).

السماء إلى ذكر مواد فلكيّة بعينها كشواهد على قدرة الله سبحانه وتعالى المطلقة، كالشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض كما ذكرنا من قبل.

وقد جاءت هذه الموادّ الفلكيّة المتنوّعة أدلّة ساطعة على قدرة الله تعالى العظيمة والشاملة لكلّ شيء، وهي في الوقت نفسه ربطت الإنسان بهذه الطبيعة التي تحيط بالإنسان من سماء وأرض وما بينهما وما فيهما، وبذلك جمعت دعوة القرآن الكريم الدنيا مع الآخرة فمن خلال الأشياء والمخلوقات نتوصّل إلى الخالق، وهذا ما يميّز كتابنا الكريم قرآننا العظيم عن الكتب السماويّة الأخرى.

وإذا أردنا أن نذكر أو نستعرض كلّ ما ورد من مادّة فلكيّة قرآنيّة فسنخرج عن طبيعة بحثنا هذا، ولكنّنا سنذكر بعض ما ورد من هذه المادّة الفلكيّة القرآنيّة.

ففي النظر والتأمّل في السماء وما فيها وما وراءها يمكن أن نذكر:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[(١)].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾[(٢)].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ـ١٩١.

(٢) سورة الغاشية، الآية: ١٧ـ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة ق، الآية: ٦.

وقوله عزّ من قائل: ﴿الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَات طبَاقاً مَا تَرَى في خَلْق الرَّحْمَن منْ تَفَاوُت فَارْجع الْبَصَرَ هَلْ تَرَى منْ فُطُور * ثمّ ارْجع الْبَصَرَ كَرَّتَيْن يَنْقَلبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسئاً وَهُوَ حَسيرٌ﴾[(١)].

وهناك آيات أخرى تدعو للنظر إلى السماء وما فيها لمعرفة ما وراءها من قوّة مطلقة لا مجال لذكرها هنا[(٢)].

وفي الآيات القرآنيّة التي ذكرت موادّ فلكيّة بعينها يمكن أن نذكر هنا بعض ما أورد القرآن الكريم منها:

قوله سبحانه وتعالى في السماء والسماوات:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَللأَرْضِ ائْتيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعينَ﴾[(٣)].

وقوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿الْحَمْدُ للَّه الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ ثمّ الَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدلُونَ﴾[(٤)].

وقوله سبحانه في الأرض: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ منْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجبَالَ أَرْسَاهَا﴾[(٥)].

وقوله عزّ وجلّ في الفلك: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغي لَهَا أَنْ تُدْركَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابقُ النَّهَار وَكُلٌّ في فَلَك يَسْبَحُونَ﴾[(٦)].

وقوله عزّ من قائل في الشمس: ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣ـ٤.

(٢) للمزيد عن هذا الموضوع انظر: الفصل الخامس، ص٢٧٧ وما بعدها من كتابنا: مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلميّ.

(٣) سورة فصّلت، الآية: ١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٣٠ـ٣٢.

(٦) سورة يس، الآية: ٤٠.

وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقوله تعالى في القمر: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾(٢).

وقوله تعالى في الكواكب: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾(٣).

وقوله تعالى في النجم والنجوم: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٤).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(٥).

وقوله تعالى في الشهب: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾(٦).

وقوله تعالى في البروج: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾(٧).

هذه الموادّ الفلكيّة الأساسيّة في القرآن الكريم، وهناك أخرى يحتاج ذكرها إلى مجالٍ أوسع.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٥ـ١٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٦.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٥ـ٧٦.

(٦) سورة الجنّ، الآية: ٨.

(٧) سورة الحجر، الآية: ١٦.

ثالثاً: الكون والسماء عند الأئمة الكرامعليهم السلام

كان لابدّ لنا أن نذكر الكون والسماء في القرآن الكريم، ولابدّ من أن نذكر المواد الفلكيّة والسماويّة الأساسيّة القرآنيّة لننطلق منها إلى الفلك والسماء عند الأئمّة الكرام (عليهم الصلاة والسلام)، ثمّ إلى أحد هؤلاء الأطهار وهو الإمام الرابع عليّ بن الحسين السجّاد(عليه أفضل الصلاة والسلام)، فالتسلسل الموضوعيّ المُرتَّب ضروريّ للبحث العلميّ، هذا من جانب (وهو جانب منهجي شكلي).

ولكن الجانب المهمّ الآخر، وهو الأهمّ حقّاً: هو أنّ الأئمّة الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام) أبناء القرآن نهلوا منه وتمثّلوه تماماً، ولذلك لا نجد في أحاديثهم ما يخرُج عن معاني القرآن بل وألفاظه عينها إلا أحياناً، ولا ما يخرج عن أقوال وأحاديث الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله بل كثيراً ما قالوا قوله، إلا في التفصيل والإجمال وإضافات يقتضيها العلم والمرحلة.

وبذلك يمكن القول: إنّ معنى الكون والسماء والفلك الحقيقيّ في الإسلام هو مزيج من القرآن وأحاديث الرسول والأئمّة الأطهار وشروحهم وتفاصيلهم وما جادت به قرائحهم.

وعلى الرغم من أنّ الاهتمام الأوّل للنبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهارعليهم السلام إنصبَّ على الشريعة الإسلاميّة وما فيها من أحكام شرعيّة وعقائد وأخلاق وهو هدف القرآن الأوّل، إلا أنّ الموارد العلميّة المتنوّعة كانت مكملة للشريعة، فهناك شواهد علميّة وفلكيّة لا حصر لها تدعو إلى الإيمان بالله من خلال خلقه ومكوّنات كونه العظيمة، ومن كلّ العقائد والأحكام والأخلاق والعلوم كانت

الحضارة الإسلاميّة العظيمة التي لا تماثلها حضارة.

لقد عرف الرسول الأعظم والأئمّة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) كلّ علوم عصرهم، فهم أفضل الناس وأعلمهم، وقد وردت إلينا منهم روايات كثيرة تتحدّث عن الكون والسماء، مما كان شائعاً في عصورهم (وإن كان مجملاً على عمومه) حتى إنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال في إحدى خطبه أمام الجماهير في حديثه عن السماء وأحوالها: «**أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض**»(١).

وهنا يجب التنبيه: إلى أنّ الروايات التي تتعلّق بالأحكام الشرعيّة ـ وهي محل ابتلاء الناس ـ، هي روايات مدروسة سنداً ومتناً، في حين أنّ عدداً كبيراً من الروايات التي تتعلّق بالعلوم وعلم الفلك منها غير مدروسٍ لا متناً ولا سنداً. ولكن مع كلّ ذلك هناك الكثير منها ذو مضامين علميّة فلكيّة واضحة تنسجم والحقائق العلميّة المعاصرة.

إنّ ما ورثناه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أو ما خلفه آل الرسول الكرام (عليهم الصلاة والسلام) من الأحاديث التي تتحدّث عن الكون والسماء والأرض والأجرام السماويّة المتنوّعة هو مادّة علميّة سبقت عصرها في كثير من الأحيان، وإذا أضفنا إليها المادّة الفلكيّة التي خلّفها علماء الفلك المسلمون لاحقاً فسنجد أمامنا فلكاً علميّاً مهمّاً مفعماً بالحقائق العلميّة الحديثة.

ففي هذا الفلك الموروث حديث عن الأرض الكرويّة وعن حركتها حول نفسها، وحركة الشمس الحقيقيّة لا حركتها حول الكرة الأرضيّة كما اعتقد السابقون وأمور فلكيّة سماويّة كثيرة.

ولو اهتمّ متخصّص ماهر في دراسة الروايات الفلكيّة والكونيّة دراسة علميّة

---

(١) نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام، خطبة: ١٢٨، ص١٨٦.

تفصيليّة (سنداً ومتناً) دراسة متقنة على وفق منهج علمي صحيح دقيق لوجد الكثير من الجديد ولأضاف إلى التراث الفلكيّ الإسلاميّ المتداول، أضاف الكثير من العناصر الفلكيّة العلميّة التي لم يسمع بها الفلكيّون المعاصرون والباحثون في هذا المجال، من المسلمين وغير المسلمين.

إنّ المادّة الفلكيّة التي وردت في القرآن ومثلها في روايات آل البيت عليهم السلام ليست قليلة أبداً، وقد تلقّفها كثير من العلماء ليبنوا فوقها ويقدّموا إلينا فلكاً إسلاميّاً فاق كلّ الفلك المعروف قديماً.

وكان لمساهمة أتباع آل البيت نصيب وافر في المساهمة وإثراء الفلك الإسلامي، حيث أخذوا مادّتهم من منابع العلم الحقيقيّة من القرآن وروايات آل البيت عليهم السلام وما جادت به قرائحهم.

يقول العلامة الشيخ عبد الله نعمة في كتابه (فلاسفة الشيعة):

«وكان علماء الشيعة من أكثر الطوائف الإسلاميّة مساهمة في هذا الميدان (أي ميدان الفلك)، ومن أبرزها أثراً فيه، فقد اشتغلوا في الأرصاد والأزياج والتقاويم والتنجيم والاختيارات وغير ذلك من فروع علم الفلك، كما اشتغلوا في عمل الآلات الرصديّة على اختلافها من الاصطرلاب بأنواعه بين المُسطَّح والمبطّح والتّام والهلاليّ وسوى ذلك، ومن الآلات الأخرى كاللبنة والحلقة الاعتداليّة، وذات الأوتار وذات الحَلَق وذات الشعبتين وذات الجيب، وذات السمت والارتفاع و...»[1].

ويقول أيضاً: «وألّف الشيعة في كلّ ذلك كما توصّلوا إلى نظريّات جديدة في الفلك لم تعرف من قبل، وأضافوا الشيء الكثير إلى علم الفلك وساهموا في

---

(١) فلاسفة الشيعة، الشيخ عبد الله نعمة، ص٧٧.

نموّه»[١].

ونحن نعتقد أنَّ التطوّر الذي وصل إليه فلكهم والإنجاز الغزير الذي قدّموه لم يكن لو لم تكن لهم متابعة صافيّة أصيلة، وهم الأقرب إلى عصر القرآن وعصر النبوّة والأئمّة الأطهارعليهم السلام.

فمصادر القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأعظم والأئمّة من بعده إضافة إلى تجاربهم وإنجازاتهم وقرائحهم لا يمكن أن تنجز إلا فلكاً دقيقاً متطوراً كالذي خلّفوه. أقول متطوراً قياساً على عصره الخالي من أجهزة علميّة متطوّرة كما نعرف اليوم.

لقد تحدّث النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله عن السماء وخلقها ورفعها بدون عمد وطيّها في النهايّة، وتحدّث عن الأرض وخالق الأرض.

فعن الإمام أمير المؤمنين عليّعليه السلام: أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله رفع طرفه إلى السماء، فقال:«**تبارك خالقها ورافعها وممهِّدها وطاويها طيّ السجلّ، ثمّ رمى ببصره إلى الأرض، فقال: تبارك خالقها، وواضعها، وممهِّدها، وطاحيها)**»[٢].

وتحدّث الرسول الأعظم أيضاً: عن التفكّر بالسماء أو السماوات السبع والأرضين السبع وبعض أوصافها، فقد روي:

خرج النبيّ على أصحابه وهم يتفكّرون في الخالق، فقال: «**تفكّروا في الخلق. ولا تفكّروا في الخالق، فإنّه لا يحيط به الفكر، تفكّروا أنّ الله خلق السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، وثخانة كلّ أرض خمسمائة عام وثخانة كلّ سماء خمسمائة عام، وما بين كلّ سمائين خمسمائة عام، وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله**»[٣].

---

(١) فلاسفة الشيعة، الشيخ عبد الله نعمة ، ص٧٨.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود الزمخشري، ج١ ص٨٣

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود الزمخشري، ج١ ص٩٣.

وتحدّث في أحاديث أخرى عن أمور سماويّة عديدة منها: الكوكبات أو الأبراج والليل والنهار وموادّ فلكيّة أخرى.

وتحدّث الأئمّة الأطهار عليهم السلام عن الموادّ الفلكيّة الأساسيّة، المكوِّنة للكون والسماء المعروفة في عصرهم، ولم يتجاوزوها إلى موادّ أو ظواهر لا يفهمها أهل العصر الذي يعيشون فيه، وإن كانت هناك لمحات أو إشارات لمحوا أو أشاروا إليها. لتبقى إلى الأجيال البشريّة اللاحقة.

فتحدّثوا (عليهم الصلاة والسلام) عن الفلك والسماء والأرض والشمس والقمر والسيّارات (الكواكب السيّارة) والشهب والنيازك وظواهر كونيّة سماويّة أخرى، وتحدّثوا أيضاً عن بدايّة الكون ونشوئه ونهايته وفنائه، وأمور فلكيّة أخرى.

وكنموذج لما وردَ في روايات أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) من موادّ فلكيّة تكوَّن منها الكون، نذكر ما أورد كتاب (نهج البلاغة) من الموادّ الكونيّة التي قالها الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في أماكن ومناسبات مختلفة.

ويمكن هنا أن نذكر المادّة الفلكيّة التي وردت في نهج البلاغة، وهي تتضمّن الموضوعات الأساسيّة التي تطرّق إليها فيما بعد الأئمّة الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، بل والفلك اللاحق.

فهي خير نموذج لما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بل كثيراً ما أخذوا عنه عليه السلام وقد تحدّثنا عن هذه المادّة بشكل مفصّل في كتابنا (الكون والسماء في القرآن الكريم ونهج البلاغة)[١].

فقد تحدّث عليه السلام عن:

(١) الكتاب مطبوع في المؤسّسة الإسلاميّة للبحوث والمعلومات، قم، سنة ١٤٢٨ هجريّة.

خَلْق الكون بقوله: «**أنشأ الخلق إنشاءً**»[١].

وتحدّث عن السماء بقوله: «**اماد السماء وفطرها**»[٢].

وتحدّث عن الشمس والقمر بقوله: «**والشمس والقمر دائبان في مرضاته**»[٣].

وتحدّث عن النجوم بقوله: «**جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران**»[٤].

وتحدّث عن الأرض بقوله: «**وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام**»[٥].

وتحدّث عن الفلك بقوله: «**وأجرى فيها سراجاً مستطيرا وقمراً منيراً في فلك دائر**»[٦].

وتحدّث عن السديم (الدخان) بقوله: «**وناداها بعد إذ هي دخان**»[٧].

وتحدّث عن الشهب بقوله: «**وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها**»[٨].

وتحدث عن موادّ وأمور فلكيّة أخرى لا مجال لذكرها هنا.

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام الخطبة: ١، ص٤١.

(٢) المرجع السابق، الخطبة: ١٠٩، ص١٦١.

(٣) المرجع السابق، الخطبة: ٩٠، ص١٢٣.

(٤) المرجع السابق، الخطبة: ١٨٢، ص٢٦١.

(٥) المرجع السابق، الخطبة: ١٧١، ص٢٤٥.

(٦) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام الخطبة: ١، ص٤١.

(٧) المرجع السابق، الخطبة: ٩١، ص١٢٨.

(٨) المرجع السابق، الخطبة: ٩١، ص١٢٨.

رابعاً: علم الإمام وصحيفته السجّاديّة

وقبل أن ندخل في الموضوعات الكونيّة والفلكيّة التي وردت في متن الصحيفة السجّاديّة الكريمة، وهي موضوعات علميّة وفكريّة متينة لا يمتلكها أيّ فرد دون أن يمتلك مقومات العلم والفكر والمؤهلات اللازمة؛ لابدّ من أن نتحدّث ـ ولو باختصار ـ عن أهميّة الإمام السجّادوقدراته العلميّة والفكريّة وقابلياته الأدبيّة والبلاغيّة، ولابدّ أيضاً أن نذكر أو نتحدّث عن طبيعة وأهميّة صحيفته السجّاديّة الكريمة المليئة بالعطاء والعلم والفكر...

لذا سنتحدّث باختصار عن نقطتين:

١ـ الإمام السجّاد عليه السلام والعلم والمعرفة.

٢ـ الفكر العلميّ والفلكيّ في الصحيفة السجّاديّة.

١ـ الإمام السجّاد عليه السلام والعلم والمعرفة.

الذي يقرأ عن الإمام السجاد عليه السلام فهو يقرأ شخصيّة كبيرة ومهمّة، كاملة متكاملة تجمع بين الدين والعلم والفكر والأدب ومميّزات فريدة ومهمّة ومتنوّعة.

فهو إمام ابن إمام ابن إمام، وينتسب إلى أشرف بيت في الوجود، ينتسب إلى بيت النبيّ الأكرم محمّد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأبوه الإمام أبو عبد الله الحسين بن عليّ سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة، وعمّه الإمام الحسن المجتبى سبط رسول الله، وجدّهُ الإمام الهمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وصي رسول الله، وجدّته فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (سلام الله عليهم أجمعين).

إنّه الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام جميعاً) الملقّب بالسجاد وزين العابدين، لكثرة سجوده وعبادته لربّه تعالى.

ولد الإمام السجّاد عليه السلام في الكوفة وقيل في يثرب كما يرجح الشيخ باقر القرشي[1]، ولد سنة ٣٨ هجريّة وتوفّي سنة ٩٤ هجريّة ودفن في البقيع بالمدينة المنوّرة.

ولستُ هنا في صدد الحديث عن تفاصيل حياة هذا الإمام الكريم وسيرته العطرة، وإنما أردتُ أن استعرضَ أهميّة الإمام العلميّة والفكريّة والاجتماعيّة والأدبيّة في عصره ومرحلته الزمنيّة الصعبة، وقدرته الكبيرة على أداء واجبه الدينيّ والإنسانيّ أكمل أداء، من خلال منهجه الفذ وقدرته الفائقة والناجحة في التعامل مع عصرٍ ووضعٍ صعبين للغايّة.

وفي ظروفه الصعبة هذه اتجه الإمام السجاد عليه السلام إلى القيام بشؤون الإمامة الروحيّة كالعبادة ونشر الأحكام والأخلاق وتفقّد الفقراء والمساكين وما إلى ذلك، وأسس مدرسة الفقه والحديث التي كانت تضمّ الكثير من الموالي والتابعين، وقد أحصى الشيخ الطوسي في رجاله وغيره من المؤلّفين في الرجال أكثر من مائة وستين شخصاً من التابعين والموالي كانوا ينهلون من معينه ويروون عنه في مختلف المواضيع، وعدّوا منهم سعيد بن المسيب وابن جبير وجبير بن مطعم والقاسم بن محمّد بن أبي بكر وجابر بن عبد الله الأنصاريّ ويحيى بن أمّ الطويل وأمثال هذه الطبقة من أعلام التابعين[2].

وإذا أردنا أن نذكر الذين اثنوا عليه وذكروا علمه وفقهه وأهمّيته والأقوال الكثيرة في ذلك فسنخرج من الموضوع، ولكن يكفي أن نذكر:

ـ ابن سعد في طبقاته حيث قال: «وكان عليّ بن الحسين ثقة مأموناً كثير

---

(١) موسوعة سيرة أهل البيت (الإمام زين العابدين)، الشيخ باقر شريف القرشي، ج١٥ ص٣٣.

(٢) سيرة الأئمّة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، القسم الثاني، ص١٤٦.

الحديث عالياً رفيعاً ورعاً»[١].

ـ حتى مخالفوه اعترفوا بدينه وعلمه، فهذا عبد الملك بن مروان المعاصر للإمام قال له بالحرف الواحد: «ولقد أوتيتَ من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلا من مضى من سلفك»[٢].

ويمكن أن نعرف أهميّة الإمام السجّادوالقيمة الاجتماعيّة والشعبيّة والدينيّة له من خلال مناسبة حجّ الإمام وطوافه الذي صادف مع حجّ وطواف هشام بن عبد الملك، وكيف انفرجت الجماهير لاستلام الإمام الحجر الأسود، وعدم قدرة هشام بن عبد الملك على استلامه (الحجر) والقصيدة العصماء المعروفة التي قالها الشاعر الفرزدق في ذلك الموقف بحقّ الإمام السجّاد، وهي:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحلّ والحرم

والقصة مذكورة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصبهانيّ[٣].

ومن خلال تلك القصيدة العصماء نعرف الكثير عن أهميّة الإمام وقيمته العلميّة والدينيّة والاجتماعيّة.

وحول أهميّة الإمام السجادعليه السلام وقيمته العلميّة والدينيّة يقول الشهيد محمّد باقر الصدر: «وعاش حوالي سبعة وخمسين عاماً، قضى بضع سنين منها في كنف جدّه الإمام عليعليه السلام ثمّ نشأ في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسينعليهما السلام سبطي الرسول، وتغذّى من نمير علوم النبوّة واستقى من مصادر آبائه الطاهرين.

وبرز على الصعيد العلميّ والدينيّ إماماً في الدين ومناراً في العلم ومرجعاً في الحلال والحرام ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته»[٤].

ومن كان منبع علمه النبوة والإمامة، فأي علم سيضم صدره»!

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٥، ص٢٢٢.

(٢) فتح الأبواب، ابن طاووس، ص ١٧٠.

(٣) الأغاني، أبو الفرج الإصبهاني، ح ٢١، ص٣٧٦.

(٤) الصحيفة السجّاديّة، شرح السيّد عليّ حسن مطر، ص٦ (المقدّمة).

٢ـ الفكر العلميّ والفلكيّ في الصحيفة السجّاديّة.

خلَّف لنا الإمام السجّادعليه السلام تراثاً كبيراً من خطب ورسائل ووصايا، وغيرها، ومن بين ما خَلَّف أثرين مهمّين وأساسيّين هما (رسالة الحقوق) المشهورة، وقد ضمنها الحقوق المترتّبة على المسلمين، وهي خمسون حقاً، ورسالة أخرى هي (الصحيفة السجّاديّة) الشهيرة وهي مجموعة أدعيّة للإمام.

والذي يهمّنا في موضوعنا هذا هو (الصحيفة السجّاديّة) الكريمة.

لكن هذه الصحيفة ليست مجرّد مجموعة أدعيّة إلهيّة تقرّب بين الإنسان وربّه، وإنما هي إضافة إلى ذلك: مادّة علميّة وفكريّة قيّمة.

أو هي مجموعة من العلوم والأفكار والمعارف والمعاني الساميّة، قلَّ نظيرها في عالم الأدعيّة والنصوص العلميّة والفكريّة في التراث الإسلاميّ.

ومَن يقرأ عناوين الصحيفة السجّاديّة يجدها سلسلة من الأفكار والمعلومات القيِّمة والمتنوّعة تشمل أفكار التوحيد والرسل والعرفان والمواعظ والأدب والعلم ومسائل دينيّة وحياتيّة متنوّعة.

فمثلاً هناك عناوين (التحميد لله عزّ وجلّ) و(الصلاة على محمّد وآله) و(الصلاة على حملة العرش) و(الصلاة على مصدِّقي الرُسل). وهناك: (الدعاء في طلب الحوائج) و(الدعاء في الظلامات) و(الدعاء عند المرض) و(الدعاء في الاستسقاء) و(الدعاء في مكارم الأخلاق). وهناك أيضاً: (الدعاء إذا نظر إلى الهلال) و(الدعاء لدخول شهر رمضان) و(الدعاء لوداع شهر رمضان) و(الدعاء لعيد الفطر).

وهناك (الدعاء في يوم عرفة) و(الدعاء في يوم عيد الأضحى والجمعة) وهناك أخرى غيرها، راجع محتويات الصحيفة السجّاديّة على اختلاف طبعاتها.

وفي كلّ تلك الأدعيّة والمعاني تجد مادّة علميّة وفكريّة متنوّعة قيّمة جداً.

وعلى أساس القيمة الإلهيّة والدينيّة للصحيفة والتنوع في موضوعاتها والمادّة العلميّة والفكريّة المختلفة، أكبَّ العلماء والباحثون والأدباء والفقهاء على دراسة موضوعاتها بالبحث والشرح والتقصي لاستخراج مكنوناتها العلميّة والفكريّة المتنوّعة.

ومن بين ما حملت الصحيفة السجّاديّة الكريمة من مادّة علميّة ومعرفيّة حملت مادّة كونيّة وفلكيّة وآفاقيّة ليست قليلة، حملتها بمعانيها العامة الإجماليّة، وضمن الأسلوب الأدبي والبلاغي الذي نهجه الإمام السجّادعليه السلام في أدعيته الإلهيّة المتنوّعة.

وأوّل ما يطالعك من الصحيفة، هو الحديث عن الخالق المبدع الذي لا أوّل له ولا آخر، والذي خلق الكون ومعه كلّ شيء. أبدعه وأبدع كلّ شيء على غير مثال سابق.

وإذا تسلسلت مع الصحيفة السجّاديّة ستجد الحديث عن السماء والسماوات وعن سكّان السماوات، والحديث عن الأرض والأرضين والليل والنهار والقمر والهلال وما يتعلّق بهذه الأمور من معان مناسبة.

إضافة إلى ذلك ستجد بين ثنايا الصحيفة ـ إضافة إلى الموادّ الكونيّة والفلكيّة المذكورة آنفاً ـ مواد أو مصطلحات كونيّة وفلكيّة منها: محاق، سعد، نحس، انسلاخ، شهور، أيّام، هواء، فلك، منازل، طلوع، أفول، كسوف، جبال، برق، رعد، وغيرها ممّا يتعلّق بالسماء والفلك والكون.

وعلى هذا الأساس سيكون بحثنا في الصحيفة، بالأخص البحثُ حول المواد الفلكيّة الأساسيّة الواردة في هذه الصحيفة الكريمة.

خامساً: الوعي الكونيّ والفلكيّ عند الإمام السجاد عليه السلام

علم الأئمّة ليس علماً عاديّاً كما هو عند العلماء والباحثين والمفكّرين، وإنّما هو علم موروث عن آبائهم الكرام ومن النبيّ الأعظم (سلام الله عليهم أجمعين)، ومن الفهم الصحيح لآيات القرآن المجيد.

وكلّ الأئمّة ومنهم إمامنا عليّ بن الحسين السجّاد عليهم السلام هم الشارحون والمفسّرون والموضّحون الحقيقيّون للقرآن المجيد والسنّة النبويّة الشريفة.

وعلى هذا الأساس، فالذي قاله الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام حول الكون والسماء والفلك، وما قاله حول العلوم والمعارف الأخرى هو مادّة علميّة قيّمة وصحيحة وصادقة لا تشوبها شائبة، شرط أن نفهمها فهماً صحيحاً وذكيّاً، وعلى وفق القواعد والأصول الصحيحة المتبعة في فهم النصّ.

وفي هذا الجزء من البحث سنتناول ما ورد من مادّة كونيّة وفلكيّة في الأدعيّة الإلهيّة الكريمة التي تضمنتها الصحيفة السجّاديّة جامعين بينها وبين ما يناسبها من علم الفلك الحديث مع التحليل والمقارنة اللازمين، وحسب ما يتطلّبه سياق البحث، ليدرك القارئ أن جزءاً من علم الإمام السجّاد عليه السلام الوارد في الصحيفة السجّاديّة يتعلّق بالكون والسماء والفلك وعلى أكمل وجه، وسيكون بحثنا وفق التسلسل التالي:

١ـ ولادة الكون.

٢ـ السماء والسماوات.

٣ـ سكّان السماء.

٤ـ الكرة الأرضيّة.

٥ـ قمر الأرض.

١ـ ولادة الكون

أ ـ ولادة الكون في العلم الحديث

في الماضي كانت مسألة ولادة الكون وانبثاقه إلى الوجود مسألة فكريّة فلسفيّة محضة غير واضحة لم تقم على أسس ومبادئ علميّة، لكن القرن العشرين الميلاديّ وأوائله بالذات أفرز نظريّات قامت في مجملها على أسس رياضيّة ومبادئ ونظريات علميّة عديدة منها نظريات النسبيّة الخاصّة والنسبيّة العامّة لالبرت اينشتاين ونظريّة الكم لماكس بلانك ومنها الاكتشافات العلميّة الكبيرة على مستوى الذرّة ومكوّناتها، واكتشافات أخرى مهمّة على صعيد العلم.

وهذه الاكتشافات والحقائق والنظريّات وَفرت أسساً جديدة لنظريّات جديدة حول بدايّة الكون ونشوئه وتطوّره، فظهر علم جديد يعرف بـ(علم الكون) وهو فرع جديد من علم الفلك ظهر في الثلث الأوّل من القرن العشرين، وظهر علم آخر مقارن له (علم نشأة الكون) وقد ذكرناهما آنفاً، وبهذين العلمين والنظريّات العلميّة الأخرى والاكتشافات الجديدة الكثيرة برزت عدّة نظريّات حول ولادة الكون وتفسيره.

ومن أشهر نظريات بدايّة الكون وولادته نظريّتان:

الأولى: نظريّة الانفجار الكبير Big Bang.

والثانيّة: نظريّة حالة الاستقرار Stead State.

نظريّة الانفجار الكبير أو العظيم

وهي نظريّة إيمانيّة تقول ببدايّة الكون بعد أن لم يكن، بدأ الكون بما فيه من مادّة وطاقة وزمان ومكان بانفجار عظيم ضخم لا يمكن تصوّره.

والانفجار العظيم مازال نظريّة منذ اقتراحه في العشرينات من القرن العشرين ولم يتحوّل إلى حقيقة علميّة ثابتة.

لكنّها نظريّة واسعة الانتشار استطاعت أن تفسّر البدايّة الأولى للكون تفسيراً لم تنافسها نظريّة ماديّة أخرى على الرغم من ظهور عدد من العيوب والانتقادات التي وُجهت لها.

ومجمل النظريّة: منذ نحو ١٥ بليون سنة (١٥ مليار سنة) كانت كلّ مادّة الكون وطاقته مركزتين في نقطة صغيرة أطلق عليها العلماء البيضة الكونيّة cosmic egg، وكانت مضغوطة للغايّة وشديدة الحرارة للغايّة أيضاً وفي ظروف غير معروفة حدث انفجار ضخم مهول لا يمكن تصوّره فتناثرت محتويات النقطة الأولى إلى كلّ الاتجاهات، وبدأ الزمان والمكان والكون كلّه.

وبعد الانفجار والتوسّع وانخفاض درجة الحرارة تشكّلت المادّة ثمّ تلا ذلك تشكّل المجرّات والنجوم داخلها واستمرّت المادّة الكونيّة في الاندفاع في كلّ فضاء الكون ومازالت إلى اليوم منطلقة بعيد عن مركز الانفجار بقوّة ذلك الانفجار الأوّل.

أدخل عدد من التعديلات على هذه النظريّة باستمرار لتصبح هي النظريّة الأهمّ في علم الفلك، وهي نظريّة وليست حقيقة علميّة، قابلة للنقض والانتقاد، ولكنذها إيمانيّة تؤكّد حدوث الكون وولادته بعد أن لم يكن[١].

نظريّة حالة الاستقرار

وهذه نظريّة إلحاديّة غير إيمانيّة لا تؤمن بحدوث الكون بعد أن لم يكن،

(١) راجع تفصيل ذلك في كتابنا: الكون نظرة تراثيّة ومعاصرة، ص١٠٧ وما بعدها.

وقد جاءت هذه النظريّة في مقابل نظريّة الانفجار الكبير الشهيرة وتقول هذه النظريّة إنّ الكون لا بدايّة له ولا نهايّة وإنّه وجود دائم يشبه ما نحن عليه اليوم.

وقد جاءت هذه النظريّة حين وجد بعض العلماء تناقضاً ظاهريّاً في نظريّة الانفجار العظيم في بدايّة ظهورها. فقد أعلن بوندي وغولد معاً وهويل مستقلاً سنة ١٩٤٨م أنّ الكون أزليٌّ أبدي لا متناهٍ في الزمان والمكان، وفي حالة استقرار حركي دائم مقتنعِين في الوقت نفسه بقانون التمدّد الكونيّ الدائم الذي قال به العالم الفلكيّ هابل.

وقد اقترحوا تعويضاً للفراغات التي يولدها ابتعاد المجرّات بعضها عن بعض فكرة الخلق المستمرّ، حيث تتوالد في هذه الفراغات ذرّات الهيدروجين من العدم لتتشكل في النهايّة مجرّات حديثة لتملأها(١).

وهذه نظريّة تخالف الدين الذي يقول بحدوث الكون وبدايته وتخالف العلم الذي أكّد حدوث الكون بالأدلّة العلميّة، وبذلك رفضت من قبل الدين والعلم ولم تعش أبداً.

ب ـ ولادة الكون وما وراءه عند الإمام السجاد عليه السلام

مسألة ولادة الكون عند الإمام عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام هي مسألة القرآن نفسه وفكرة ديننا الإسلاميّ الحنيف نفسها أيضاً، وقد تحدّث عنها الرسول الأكرم والأئمّة الأطهار باستمرار بنصوص كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا.

فالكون حادث ومخلوق وكلّ شيء فيه مخلوق، لم يكن ثمّ كان بكلمة أو بتعبير قرآني إلهي (كن فكان)، قال سبحانه وتعالى: ﴿...إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا

(١) راجع كتابنا: قاموس دار العلم الفلكي، ص٥١٧، مادّة (نظريّة حالة الاستقرار)، وص١٨٩، مادّة (الخلق المستمر)، وص١٣٨، مادّة (تمدّد الكون).

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١].

وقد عبّر القرآن الكريم عن مسألة الخلق والحدوث بعدّة كلمات أو تعبيرات منها فاطر، بديع، خالق، بارئ، وأمثالها، قال تعالى: ﴿...**فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**﴾[٢].

ومثل فكرة القرآن قال الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام في نهج البلاغة وفي أكثر من مكان: «**أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا رويّة أجالها ولا تجربة استفادها...**»[٣].

وكما ورد في القرآن المجيد، وكما ورد على لسان الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام، جاء على لسان حفيده الإمام عليّ بن الحسين السجّادعليه السلام.

جاء في أكثر من مكان وحديث ما أكّده القرآن المجيد والرسول الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهارعليهم السلام من أنّ الكون حادث مخلوق خلقه الخالق المبدع (عزّ وجلّ) على غير مثال سابق، لم يكن ثمّ كان.

وعلى مستوى كلام الإمام عليّ بن الحسين السجّادعليه السلام في صحيفته السجّاديّة الكريمة، تجد الإيمانَ بالخالق العظيم الذي خلق الخلق والكون والأشياء كلّها أساساً مهمّاً وكبيراً من أسس هذه الصحيفة السجّاديّة القيّمة.

ومن يقرأ دعاءهعليه السلام في يوم عرفة خاصّة، يجد المزيد من هذا الإيمان الواعي بالخالق والمخلوق وخلق الكون وإبداعه بعد أن لم يكن. ويجد الدقّة العلميّة والفكريّة بتمامها، وفي الوقت نفسه يجد الأسلوب العالي والأدب الرفيع الذي يأخذ بالألباب وبمجامع القلوب. ويجد الاندماج والتأثّر بالقرآن المجيد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١، ص ٤٠.

وأسلوبه وفكره وإلهيّته على أفضل ما يكون الاندماج والتأثّر.

فالله سبحانه وتعالى بديع السماوات والأرض وخالق كلّ مخلوق يقول عليه السلام في دعاء عرفة: «**اللهمّ لك الحمد بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام ربّ الأرباب وإله كلّ مألوه، وخالق كلّ مخلوق...**»[(١)].

والإبداع هو الإيجاد على غير مثال سابق، «أبدع الله تعالى الخلق إبداعاً خلقهم لا على مثال، وأبدعت الشيء وابتدعته استخرجته وأحدثته»[(٢)].

والسماوات والأرض هي الكون، ويتفق علم الفلك الحديث تماماً على أن الكون مخلوق بعد أن لم يكن ويؤكّد هذا المعنى كبار علماء الفلك في العالم وتزداد أدلتهم على الخلق أو ولادة الكون يوماً بعد آخر. مما أصبحت فكرة الخلق نقطة لا نقاش فيها بين العلماء الواعين.

وتتوالى تأكيدات الإمام عليّ بن الحسين السجّادعليه السلام على الإبداع الكوني وبعبارات مختلفة وبسياقات متنوّعة وبمعان عديدة منها: أنشأت، وصورت، وابتدعت، وقدرتَ، وابتدأ، واخترعَ، واستحدث، وصنع، وفاطر، وباري، والمبدي، والقديم، والخالق، وغيرها من الكلمات والعبارات الدالّة على الإبداع والخالقيّة.

ففي دعاء عرفة يذكر الإمام السجّادعليه السلام الإنشاء من غير سنخ والتصوير من غير مثال والابتداع بلا احتذاء والتقدير لكلّ شيء. يقول الإمام السجادعليه السلام: «**أنت الذي أنشأت الأشياء من غير سنخ، وصوّرت ما صوّرت من غير مثال وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء أنت الذي قدّرت كلّ شيء تقديراً**»[(٣)].

---

(١) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، الإمام السجادعليه السلام، ص١٨٥.

(٢) المصباح المنير، الفيومي، ص٣٨.

(٣) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٨٦.

وفي دعاء عرفة نفسه يذكر الإمام السجّادعليه السلام الابتداء والاختراع والاستحداث والصنع. يقول الإمامعليه السلام:

«**أنت الذي ابتدأ واخترع واستحدث وابتدع وأحسن صنع ما صنع**»[١]، وفي دعاء عرفة نفسه أيضاً يذكر الإمام السجّادعليه السلام كلمات: فاطر وبارئ يقولعليه السلام: «**فاطر السماوات بارئ النسمات لك الحمد حمداً يدوم بدوامك**»[٢].

وفي دعاء التحميد لله عزّ وجلّ يذكر الإمام السجادعليه السلام الأوّل بلا أوّل والابتداع والاختراع. يقول الإمامعليه السلام: «**الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله... ثمّ يقول ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً واخترعهم على مشيئته اختراعاً...**»[٣].

وفي دعاء الهلال يصف الإمام السجّادعليه السلام ربّه بكلمات الخالق والمقدّر والمصوّر يقول الإمام السجّادعليه السلام: «**فأسأل الله ربّي وربّك وخالقي وخالقك ومقدّري ومقدّرك ومصوّري ومصوّرك**»[٤]، وهناك كلمات كثيرة في الصحيفة السجّاديّة تؤكّد وتعزز الخالقيّة والإبداع منها مثلاً: «القديم الخبير»[٥] «المبدئ المعيد»[٦] وأخرى غيرها.

ولا شكّ في أنّ ذكر هذه الكلمات وهذه العبارات لم نرِدْ منها الحديث عن إيمان الإمام السجّادعليه السلام بالله وبخلقه الكون والخلق، فهذا الأمر مفروغ منه ، وإنّما أردنا من ذلك القول إنّ مسألة خلق الباري عزّ وجلّ للكون والخلق أجمعين تجري في دم الإمام

---

(١) المرجع نفسه، ص١٨٧.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٨٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص١٨٦.

(٦) المرجع السابق، ص١١٦.

وعروقه، وإنّها حاضرة في عقله وروحه وأحاديثه وكل حالاته وأوضاعه. وإنّ فهم الإمام السجّادعليه السلام لمخلوقيّة الكون والخلق أجمعين لم تنفصل عن فهمه الحقيقي لخالق الكون ومبدعه على غير مثال سابق.

ثمّ إنّ فهم مسألة خلق الكون وما وراءه من قوّة عظمى عند الإمام السجادعليه السلام هو الفهم العلميّ الصحيح البعيد عن شوائب الخرافات والتفاهات والأوهام، التي ذكرها كثير من مصادر التاريخ المتنوّعة.

وهذا الفهم الإماميّ هو الذي يقول به اليوم علماء الكون والفلك، فهم يقطعون بولادة الكون بعد أن لم يكن. ويعتبرون فكرة أزليّة الكون خرافة من الخرافات البائدة التي عفا عليها الزمن.

٢ـ السماء والسموات

أ ـ السماء في الفلك الحديث

السماء في الفلك الحديث هي هذا الفضاء الذي يقع فوق رؤوسنا والذي يحيط بالكرة الأرضيّة التي نعيش فوقها من كلّ جانب، والسماء خلاء يمتلئ بالنجوم والكواكب والمجرّات والسدم وأجرام سماويّة متنوّعة أخرى.

وفي اللغة العربيّة يقول الفيروزآبادي: «سما سموّاً ارتفع وسما به أعلاه كأسماه وسما لي الشيء رفع من بعد فاستنبته وسما القوم خرجوا للصيد وهم سماة، وسما الفحل سماوة تطول على شوله والسماء مؤنّث وتذكّر وسقف كلّ شيء وكلّ بيت ورواق البيت كسماواته، وفرس وظهر الفرس والسحاب والمطر أو المطرة الجيدة جمع أسمية وسماوات وسمي وسماً»[1].

ويقول الفيومي في السماء: «سما يسمو سموّاً علا ومنه يقال سَمَتْ همّته إلى معالي الأمور إذا طلب العزّ والشرف. والسماء المطلّة للأرض، قال ابن الأنباري تُذكّر وتؤنّث. وقال الفرّاء: التذكير وهو قليل على معنى السقف وكأنّه جمع سماوة مثل سحاب وسحابة، وجمعت على سماوات...»[2].

وفي علم الفلك السماء هي فضاء شاسع لا نهايّة له تمتلئ بأنواع الأجرام السماويّة.

والسماء وما تحتوي من أجرام تبدو متحرّكة فوق رؤوسنا من الشرق إلى الغرب، وذلك بسبب دوران الكرة الأرضيّة حول نفسها في الاتجاه المضادّ.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، ص١٢٩٦.

(٢) المصباح المنير، الفيوميّ، ص٢٩٠.

وكذلك نجد أيضاً أنه بسبب دوران الكرة الأرضيّة حول الشمس مَرَّة واحدة كلّ سنة تبدو الشمس كأنّها تتحرك وسط النجوم ولو أنّنا لا نستطيع رؤيّة النجوم القريبة من الشمس أو التي فوق الأفق أثناء النهار.

أما الزرقة السماويّة الظاهرة للعيون التي هي فوق الرؤوس فهي جزء ضئيل جداً من السماء، وهي جزء يحيط بجرم صغير هو هذه الكرة الأرضيّة، وهو في الحقيقة غلاف جويّ يلتفّ حول الأرض.

ووراء هذا الغلاف الجوّيّ الغازيّ القليل نشاهد السماء سوداء فاحمة تمتدّ إلى ما لا نعرف من الأبعاد والمسافات، وهو فراغ يمتلئ بالأجرام السماويّة المختلفة لا يعرف العلم له حدّاً.

وبناء على هذا، فالسماء أو الفضاء الكونيّ وما يحتوي من أجرام سماويّة وظواهر كونيّة متنوِّعة ومنها أرضنا، هي الكون الشاسع الذي يدرسه علماء الفلك والفضاء.

إذن السماء ومعها الأرض هي الكون في التعبير الحديث وهي تحتوي كلّ شيء، وعلماء الفلك الحديث هم اليوم يطلقون لفظة أو مصطلح (الفضاء) عوضاً عن السماء للدلالة على هذا العلم فيسمّونه (علم الفلك) أو (علم الفضاء) وقلما يسمّى (علم السماء).

ب ـ السماء والسماوات عند الإمام السجّادعليه السلام

لقد وردت السماء والسماوات في القرآن في عدد كبير من الآيات القرآنيّة، وردت مفردة وجمعاً (٣١٠ مرّة). وقد وردت بمعان مختلفة مثل السحاب والمطر والعلوّ، لكن الأكثر وردت بالمعنى الفلكيّ للسماء أي هي تلك التي تحتوي على النجوم والكواكب والشمس والقمر.

ومن ذلك قوله تعالى في السماوات جَمْعاً: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ**

وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾[١].

وفي السماء مفردةً قال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾**[٢].

وقد وردت مفصّلة بعض التفصيل وقد وردت أيضاً مخلوقة لله تعالى، ووردت بصيغة سبع سماوات ووردت أيضاً مزيّنة بالكواكب والبروج وبأحوال أخرى، ومثل ما ذكرها القرآن الكريم ذكرها الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله، فقد ورد عنه أنّه قال: «**تبارك خالقها ورافعها وممهّدها وطاويها طيّ السجلّ...**»[٣].

وفي نهج البلاغة للإمام عليعليه السلام وردت ٤٨ مرّة وبمعان مختلفة ومنها المعنى الفلكيّ وبأوصاف وأحوال عديدة كلّها تحكي السماء العلميّة الحقيقيّة لا سماء المنجمين الواهيّة. ومما قال الإمام عليعليه السلام: «**فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطدات بلا عَمَد قائمات بلا سند**»[٤].

وورث الإمام عليّ بن الحسين السجادعليه السلام كلّ ذلك إضافة إلى ما جادت به قريحته، ورث ذلك وبفهم علميّ دقيق كما عهدنا رسولنا الأكرم وأئمّتنا الأطهارعليهم السلام، فهو ابنهم تربّى في أحضانهم وزقّ من علومهم.

فسماؤه سماء علميّة، هذه السماء التي فوق رؤوسنا المملوءة بالنجوم والكواكب والشمس والقمر لا تلك التي قال بها المنجّمون والمشعوذون الذين يتاجرون بعلومهم وبتنجيمهم.

فالإمام عليّ بن الحسين السجّادعليه السلام يعتقد اعتقاداً جازماً كآبائه الكرام وكما في القرآن المجيد أنّ السماء والسماوات خلقٌ من خلق الله سبحانه وتعالى المتنوّع والكثير، وأنّ الباري عزّ وجلّ خالقها وفاطرها لا غيره ولا شريك له في ذلك. قال الإمام السجّادعليه السلام: «**سبحانك قاهر الأرباب باهر الآيات فاطر**

---

(١) سورة الحديد، الآيّة: ٤.

(٢) سورة الفرقان، الآيّة: ٦١.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشريّ، ج١ ص٩٩.

(٤) نهج البلاغة للإمام عليّعليه السلام، الخطبة: ١٨٢ ص٢٦١.

السماوات بارئ النسمات»[(١)].

وفي عبارة أخرى من الصحيفة يؤكّد الإمام السجّاد هذا الخلق (خلق السماوات) بقوله: «**اللهم لك الحمد بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام**»[(٢)].

وفي مكان آخر يؤكّد الإمامعليه السلام ملكيّة السماوات والأرض لله عزّ وجلّ بقوله: «**أصبحنا وأصبحت الأشياء كلّها بجملتها لك سماؤها وأرضها**»[(٣)]. ومن خلال هذا الكلام وأمثاله مما قاله الإمام السجّاد تَعْرف أنَّ السماء التي ذكرها الإمام هي كما وردت في القرآن المجيد وكما وردت عن النبيّ وآل بيته مفطورة ومخلوقة للبارئ الخالق سبحانه وتعالى، فهي حادثة كما يقول أهل الفلسفة.

وفي حديث الإمام السجّادعليه السلام قرن السماء بالأرض في كثير من كلامه مقتدياً بالقرآن المجيد الذي قرن السماء بالأرض في عددٍ كبير من آيات القرآن الكريم، واللذين يمثّلان الكون كما ذكرنا.

ومن ذلك قال الإمامعليه السلام في صحيفته: «**بديع السماوات والأرض**»[(٤)].

وقال أيضاً: «**لك سماؤها وأرضها**»[(٥)].

وقالعليه السلام: «**سماؤك ومن فيها وأرضك ومن عليها**»[(٦)].

---

(١) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٥.

(٣) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص١٨٥ وص٢٠٣.

(٥) المرجع السابق، ص٤٠.

(٦) المرجع السابق، ص١٢٧.

وقال أيضاً: «**سماواتك وما فوقهنّ وعدد أرضيك وما تحتهنّ وما بينهنّ**»[(١)].

وقالعليه السلام: «**وأشهد سماءك وأرضك**»[(٢)].

ومن أوصاف السماء والسماوات التي ذكرها الإمام عليّ بن الحسين السجادعليه السلام في صحيفته كونها على شكل طبقات كما وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقاً...**﴾[(٣)].

وقوله عزّ وجلّ أيضاً: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقاً**﴾[(٤)].

قال الإمام السجادعليه السلام: «**وقبائل الملائكة الذي اختصصتهم لنفسك، وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك، وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك**»[(٥)].

«**فأطباق سماواتك**» تعني في هذا النصّ أنّ السماء على شكل طبقات واحدة فوق الأخرى، كما في قول القرآن الكريم: ﴿...**سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقاً...**﴾.

فالمعنى واحد والفكرة واحدة، وهي فكرة قرآنيّة إلهيّة، قال بها ابن القرآن الكريم الإمام عليّ بن الحسين السجّادعليه السلام.

ثمّ إنّ هذه السماوات وهذه الطبقات مسكونة بقبائل الملائكة، وهذا يعني أنّ الكائنات الحيّة كما هي موجودة في الكرة الأرضيّة موجودة في السماء، كما سنرى لاحقاً.

---

(١) المرجع السابق، ص١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢.

(٣) سورة الملك، الآية: ٣.

(٤) سورة نوح، الآية: ١٥.

(٥) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص٢٨.

٣ـ سُكان السّماء

أ ـ سُكّان السماء في الفلك الحديث

الحديث عن وجود كائنات حيّة في السماء، سواء كانت عاقلة أمْ غير عاقلة حديث مثير وقديم، فالإنسان بطبعه يتوق إلى معرفة أشباه له خارج كرته الأرضيّة.

ولكن القدماء لم يتمكّنوا من دراسة هذه الإثارة علميّاً لعدم توافر الأجهزة والأدوات العلميّة الكافيّة، وفي العصر الحديث وخاصّة في النصف الثاني من القرن العشرين توافرت الإمكانات العلميّة اللازمة، فدرس الفلكيّون إمكان وجود حياة خارج الكرة الأرضيّة، وإلى هذه اللحظة لم يستطع العلم إثبات أو نفي وجود كائنات حيّة في السماء أو الفضاء.

فعلى مستوى الإجرام القريبة درس العلماء القمر دراسة مفصّلة وخاصّة بعد نزول الإنسان على سطحه وقد أثبتت الدراسات المتواصلة عدم وجود حياة عليه إطلاقاً، فظروفه غير مناسبة للحياة التي نعرفها على سطح الأرض.

أمّا المرّيخ وهو كوكب دارت أحاديث وأساطير حول وجود حياة على سطحه ودارت دراسات ميدانيّة بوصول عدد من المركبات الفضائيّة لاكتشاف نوع من الحياة على سطحه أو في أعماقه، لكنّها لم تصل إلى نتيجة قطعيّة، غايّة ما هناك تتحدث الدراسات عن احتمال وجود مياه على سطحه قديماً أو في باطن أرضه أو احتمال حياة سابقة، لكن ذلك لم يثبت بالقطع إلى هذه اللحظة.

أمّا كوكب عُطارد الأقرب إلى الشمس فهو كوكب شديد الحرارة لقربه من الشمس ولخلوّه من الغلاف الجوّي الضروريّ لوجود الكائن الحيّ. ومثل عطارد كوكب الزُهرة، فظروفه صعبة جدّاً حيث يَلفُّه غلاف جوّيّ مؤلّف من نحو ٩٧٪

من ثاني أوكسيد الكاربون وجوّه كثيف ذو ضغط شديد على السطح يصل إلى نحو مئة مرة أكبر من ضغط الجوّ الأرضيّ.

وتبقى الكواكب العملاقة الكبيرة (وهي المشتري وزحل وأورانوس ونبتون) وهي كواكب غازيّة بعيدة عن الشمس فهي باردة جداً وذات أغلفة غازيّة مكوّنة من الهيدروجين والهليوم والميثان وهي غازات غير ملائمة للحياة.

ومثل هذه الكواكب الغازيّة الكوكب بلوتو الصغير فهو أبرد منها جميعاً لأنّه أبعد الكواكب وله ظروف صعبة لا تصلح للحياة على سطحه.

وإذا تجاوزنا كواكب المنظومة الشمسيّة إلى وسط ما بين النجوم فستكون المهمة أصعب. لعدم وصول أجهزتنا العلميّة إليها. لكن من خلال دراسة تلك المناطق البعيدة تبيّن أنَّ هناك كثيراً من عناصر كيمياء الكربون الأساسيّة، مثل الهيدروجين والهليوم والكربون والنتروجين والأوكسجين، وإضافة إلى هذه العناصر اكتشف أكثر من ٥٠ مركّباً أهمها سيانيد الهيدروجين، هذه المركّبات وجدت في عمق سحب كثيفة مملوءة بغبار ما بين النجوم وهذه السحب ذات قابليّة للانكماش والتقلص إلى الداخل، تحت تأثير الجذب الكتلي مولّدة نجوماً وكواكب جديدة، وقد وجدت مركّبات عضويّة في أجواء النجوم الحمراء حيث تكون درجة مناسبة لتكوين المركّبات العضويّة المعقّدة التي تشكّل بداية السلسلة الطويلة المؤدّيّة إلى نشوء الحياة.

وهذا يعني أنَّ مقوّمات الحياة في الكون موجودة. ويعتقد علماء الكون أنّ بعض النجوم الشبيهة بنجمنا الشمس وهي كثيرة وشائعة في الكون تمتلك أبناء (أي كواكب سيّارة) وقد اكتشفوا عدداً منها في طور التكوّن وإذا كان هناك حولها أو حول بعضها كوكبٌ مشابه للأرض فلا يُستبعد وجود حياة على سطحه.

لكن المشكلة الكبيرة كيف الوصول إلى تلك الكواكب المفترضة وأجهزتنا العلميّة محدودة قياساً بهذا الكون الكبير. والنتيجة النهائيّة أن العلم الحديث لم يستطع إثبات أو نفي وجود كائنات حيّة أيّاً كان نوعها.

ب ـ سكان السماء والسماوات عند الإمام السجّادعليه السلام

وإذا لم يستطع العلم الحديث أن يثبت أو ينفي وجود كائنات حيّة عاقلة أو غير عاقلة في السماء وفي أجرامها، فإنّ الدين الإسلامي والقرآن المجيد والنبيّ الأكرم والأئمّة الأطهار قالوا بوجود كائنات حيّة عاقلة تنتشر في أرجاء السماء المختلفة.

تلك الكائنات الحيّة هي الملائكة. فهم يسكنون السماء وينتشرون في مختلف أرجائها وهم أكثر من سكّان الكرة الأرضيّة. وقد نَصَّ القرآن الكريم على وجودهم بعدد من الآيات ووصفهم بأفضل الأوصاف قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿**وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...**﴾[2].

وذكرهم النبيّ الأكرم والأئمّة الأطهارعليهم السلام، ومنهم الإمام عليّ بن أبيعليه السلام في نهج البلاغة فهم يملؤون أرجاء السماء، قال الإمام: «**ثمّ فتق ما بين السماوات العلا فملأهنّ أطواراً من ملائكته**»[3].

إذن في السماء والفضاء سكّان عقلاء دون أيّ شكّ وريب، ذكرهم القرآن الكريم والرسول الأكرم والأئمّة الأطهار وهم الملائكة، بالنصوص القطعيّة، لكن هل هناك عقلاء آخرون غير الملائكة؟ هذا ما اختلف فيه الباحثون والمفسِّرون.

لكن هناك روايات تذكر أو تشير إلى كائنات أو خَلْق غير الملائكة. من تلك الروايات ما ورد عن الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ومن وراء ذلك** (أي وراء السماء) **ظلّ العرش، وفي ظلّ العرش سبعون ألف أمّة ما يعلمون أنّ الله خلق**

---

(١) سورة النحل، الآيّة: ٤٩.

(٢) سورة الزمر، الآيّة: ٧٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١، ص٤١.

آدم ولا ولد آدم، ولا إبليس ولا ولد إبليس وهو قوله تعالى: ﴿...وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾»[١].

وإذ ورد في الصحيفة السجّاديّة كلام صريح للإمام عليّ بن الحسين السجاد عليه السلام يذكر فيه الملائكة على شكل قبائل تسكن بطون أطباق السماوات، كقوله عليه السلام: «**قبائل الملائكة الذين... وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك**»[٢].

أو على شكل درجات أو مواقع أو منازل كقوله عليه السلام: «**اللهم فصلّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكّان سماواتك**»[٣].

فإن هناك كلاماً آخر للإمام السجّاد عليه السلام ورد في الصحيفة السجّاديّة يشير أو يُلمِّح إلى وجود كائنات حيّة غير الملائكة المذكورين صراحة، الذين يسكنون السماء أو السماوات.

ومن ذلك مثلاً: قول الإمام السجّاد عليه السلام: «**وأشهد سماءك وأرضك ومن أسكنتهما من ملائكتك وسائر خلقك**»[٤].

فما المقصود هنا من عبارة (وسائر خلقك) بعد ذكر الملائكة صراحة؟ ألا يحتمل أن تكون كائنات حيّة بشريّة أو حيوانيّة أو بكتيريّة أو غير ذلك؟ نحن لا نعرف مَن هي أو ما هي والله أعلم.

ثمّ ما المقصود من كلمة (مَنْ) في كلام الإمام التالي: «**ولكن لتسمع سماؤك ومن فيها وأرضك ومن عليها**»[٥].

أتدلّ على الملائكة وحدهم؟ أم تتجاوزهم إلى كائنات بشريّة حيّة أخرى لا

---

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٥٧ ص٣٤٨.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧ـ٢٨.

(٤) الصحيفة السجّاديّة الكاملة ، ص٤٢.

(٥) المرجع السابق، ص١٢٧.

نعرف تفاصيلها، وخاصّة وقد أكّد هذا المطلب الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله في النص المذكور سابقاً: (**سبعون ألف أمّة ما يعلمون إن الله خلق آدم**).

إنّ حديث الإمام السجّادعليه السلام عن وجود كائنات حيّة في السماء إضافة إلى الملائكة يؤكده القرآن الكريم من خلال عدد من الآيات القرآنيّة الكريمة منها: قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّه يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[١]، وقوله أيضاً: ﴿**وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾[٢].

وكذلك من خلال أقوال الرسول والأئمّة الأطهارعليهم السلام[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٩.

(٣) العلوم الفلكيّة عند آل البيت، د. مازن المؤمن، ص٣٦٣.

٤ـ الكرة الأرضيّة

أ ـ الأرض في الفلك الحديث

السماء والأرض وما بينهما وكلّ شيء نعرفه وما لا نعرفه من مادّة وطاقة وزمان ومكان وفضاء، ما عدا الله سبحانه وتعالى خالق الكون، هي كلّ الكون.

فإذن الأرض أو الكرة الأرضيّة هي جزء من الكون، جزء صغير جداً قياساً بالكون الهائل وبمفردات الكون الكبيرة.

تقع الأرض أو الكرة الأرضيّة ضمن المنظومة الشمسيّة، وتقع المنظومة الشمسيّة ضمن المجرّة، مجرّة درب التبانة Milky Way وضمن الكون في المحصلة النهائيّة.

والأرض يمكن دراستها من جوانب متعدّدة، من جوانب اقتصاديّة وجغرافيّة وجيولوجيّة وفلكيّة وأخرى غيرها.

ولمّا كانت دراستنا هي الكون والسماء فلابدّ منْ أن ندرس الأرض ضمن الكون والسماء، من جانبها الفلكيّ استناداً إلى أَنها جرم سماويّ كونيّ له مواصفات فلكيّة معيّنة. فهي كرة سماويّة تتعرض للظلام والضياء فتكون مظلمة في ليلها ومضيئة في نهارها، ولها حركات فلكيّة ومواقع سماويّة ومواصفات فلكيّة وعلميّة أخرى.

وعلى هذا الأساس فالأرض أو الكرة الأرضيّة واحدة من تسعة أعضاء تدور حول الشمس ويُعرف هذا النظام بـ(النظام الشمسيّ). وإذا أردنا أن نقرأها كوكباً سيّاراً ضمن السيّارات التسع فهي جرم ذو خصائص فريدة لا توجد في غيرها، ومن أهمّها وجود الماء والهواء الضروريّين لإمكان الحياة على سطحها.

والأرض كرة زرقاء ساطعة جميلة المنظر للناظر إليها من الفضاء، تعكس نحو ثلث ضوء الشمس الساقط عليها، وتبدو كتل اليابسة البنيّة بوضوح، وكذلك

المحيطات الزرقاء التي تغطّي نحو ٧٠٪ من سطح الأرض، كما يمكن مشاهدة سحب كثيرة في الجوّ.

والكرة الأرضيّة ثالث الكواكب السيّارة بعداً عن الشمس، وأكبر الكواكب الصخريّة، يبلغ قطرها نحو ١٢،٧٥٦ كيلومتراً، ومتوسّط بعدها عن الشمس نحو ١٤٩،٦٠٠،٠٠٠ كيلومتر، وسرعتها المداريّة حول الشمس نحو ٢٩،٧٩ كيلومتراً في الثانيّة، وزمن دورتها حول أمها الشمس يبلغ ٣٦٥،٢٦ يوماً ـ أي سنتها ـ أمّا دورتها حول محورها ـ أي يومها ـ فيبلغ ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة، ومن شروق الشمس إلى الشروق التالي ٢٤ ساعة.

يحيط بالكرة الأرضيّة غلاف غازيّ فريد يسمح بوجود الحياة على سطحها، ويتكوّن أساساً من ٧٧٪ من النتروجين و٢١٪ من الأوكسجين بالإضافة إلى غازات أخرى وبخار الماء والغبار.

وهو ـ أي الغلاف الغازيّ ـ جوّ رقيق بالمقارنة مع جوّ الزهرة الكثيف جدّاً، وهو رقيق بحيث يخترقه ضوء الشمس، لكنّه في الوقت نفسه سميك بما فيه الكفايّة ليحجب إشعاعات الشمس الأخرى المؤذيّة، فمعظم الأشعّة الفوق البنفسجيّة الخطيرة على حياة البشر ترشح عبره، ويبطئ جوّ الأرض سرعة الأحجار النيزكيّة الصخريّة الصغيرة ويبخرها.

والكرة الأرضيّة هي جزء من الكون ـ كما ذكرنا ـ ومادّتها من مادّة السماء والكون والأجرام السماويّة الأخرى. فهي مكوّنة من العناصر المائة والتسعة المعروفة الموجودة في الأرض والكون وإن اختلفت النسب بين الأجرام المتنوِّعة، فمثلاً يكثر الهيدروجين في الشمس والنجوم السماويّة الكثيرة، ويقلّ في الكرة الأرضيّة.

وتقع هي وأخواتها ـ الكواكب السيّارة ـ وأمّهم الشمس في إحدى أذرع مجرّتنا درب التبانة ـ في ذراع الجبار ـ وتدور مع أخواتها وأمّها حول مركز المجرّة، والتي هي كذلك تجري في السماء متباعدة عن أخواتها المجرات الأخرى، ويمكن معرفة موقعنا من خلال المجرّات الكونيّة الأخرى. ونحن في

الحقيقة لا نعرف أين نقع في هذا الكون الشاسع!!

وللأرض مواصفات وحالات أخرى، منها خضوعها ـ كما ذكرنا ـ لحالات الليل والنهار ولحركات متعدّدة ومواقع مختلفة، ولعلّ من أشهر ما يطرأ عليها من حالات حالتي الليل والنهار، وعادة ما تذكر حالتا الليل والنهار مع ذكر الأرض أو الكرة الأرضيّة، فهما منها وإليها كانا منذ صارت الأرض أرضاً.

والليل هو أحد جزأين أساسيين لليوم day. وهو الجزء (المظلم)، أمّا الجزء الأساسيّ الآخر فهو النهار (المضيء).

ويحصل الليل والنهار (اليوم) نتيجة دوران الكرة الأرضيّة حول محورها. ويتسبّب مَيْل هذا المحور على مدار الكرة الأرضيّة حول الشمس في اختلاف الليل والنهار من وقت لوقت ومن مكان لمكان، وفي حدوث فصول السنة، ويبلغ الاختلاف بين النهار والليل أعلى درجاته في القطبين الأرضيين الشماليّ والجنوبيّ ويقلّ الاختلاف في منطقة خط الاستواء[١].

عرّف الفيروزآباديّ الليل بقوله: «الليل من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق أو الشمس»[٢].

وعرّف النهار بقوله: «النهار ضياء ما بين الفجر إلى غروب الشمس، أو من طلوع الشمس إلى غروبها أو انتشار ضوء البصر وافتراقه»[٣].

ومن هذه الكرة السماويّة التي تُعرف بالأرض، وليلها ونهارها وحركاتها ومواصفاتها وحالاتها الأخرى قديمها وحديثها تتكوّن الأرض التي نعيش عليها، والواقعة ضمن هذا الكون الكبير[٤].

---

(١) قاموس دار العلم الفلكيّ، ص٤١٧.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، ص١٠٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص٤٨٩.

(٤) هناك جدل قديم حول أسبقيّة الليل أو النهار، ولا يدخل هذا الجدل في موضوعنا، لكن لا بأس أن نذكر: إنّ الإمام الرضاعليه السلام يقول بعد حديث طويل:«**فالنهار خلق قبل الليل**»، مجمع البيان انظر ⇐

ب ـ الأرض عند الإمام السجّادعليه السلام

الأرض عند الإمام السجّادعليه السلام هي تلك الأرض العلميّة التي وردت في القرآن الكريم في عدد من آياته الكريمة، وإذا وردت في القرآن بعدد كبير من المواصفات والحالات والمعاني لشموليّة القرآن وكونه تبياناً لكلّ شيء قال تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ...﴾[1]، ﴿... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾[2]، فإنّ الإمام السّجّادعليه السلام ـ وهو ابن القرآن الذي رضع من ثديه ـ ذكر كثيراً من معاني القرآن وأفكاره وتعاليمه في كلماته وأحاديثه.

لقد وردت كلمة (الأرض) في القرآن الكريم ٤٦١ مرّةً، وهي بهذا الرقم تفوق الموادّ الفلكيّة الأخرى، تفوق كلمة السماء الواردة ٣١٠ مرّات والشمس الواردة ٣٣ مرّة وكلمة القمر الواردة ٢٧ مرّة والنجم والنجوم الواردة ١٣ مرّة وكلمات فلكيّة أخرى غيرها. لكنّها لم تكن في هذا الرقم الكبير مادّة فلكيّة فقط، وإنّما وردت إضافة إلى كونها مادّة فلكيّة وردت مادّة ضمن علوم أخرى.

وحين تحدّث القرآن الكريم عن الأرض كمادّة فلكيّة، تحدّث عنها على أدقّ ما يقول علم الفلك في هذا الجرم الكوني وأصح ما يكون العلم، فهي أوّلاً وقبل كلّ شيء مخلوقة لله سبحانه وتعالى طائعة له خاضعة لقوته وسيطرته أبدعها من العدم قال عزّ وجلّ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

⇐

الطبرسيّ، ج٨ ص٦٦٤، ويذكر الشيخ مكارم الشيرازي هذا الموضوع ليقول: وقد ورد في روايات متعددة عن أهل البيت التصريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق النهار قبل الليل، فعن الإمام الصادق أنه قال: جواباً على سؤال في حديث طويل: «نعم خلق النهار قبل الليل والشمس والقمر والأرض قبل السماء» والله أعلم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٤ ص١٤٣.

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

فَيَكُونُ﴾(١)، وقال تعالى أيضاً: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...﴾**(٢)، وهي مدوّرة مكوّرة أو كرة حقيقيّة، وهي جرم متحرّك لها أكثر من حركة ومواصفات أخرى، وقد أشار القرآن إلى ذلك بإشارات وسياقات وقرائن متنوّعة كلّها تدلّ على حقيقة الأرض وعلميّتها، ولا مجال للتفصيل في ذلك. لقد ردَّد الإمام السجّادعليه السلام معاني القرآن وأفكاره في مجال الأرض في أكثر من موضع من كلماته وأحاديثه وخطبه.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي أبدع الأرض على غير مثال سابق كما السماء وغيرها من مخلوقاته، قال الإمام السجادعليه السلام: «**اللهم بديع السماوات والأرض**»(٣)، وفي أكثر من موضع.

ومثل ذلك خلق الليل والنهار وهما جزءان أو حالتان لا ينفكّان عن الأرض ولا ينفصلان عنها، قال الإمامعليه السلام: «**الحمد لله الذي خلق الليل والنهار**»(٤).

فالليل ـ وهو ظلام الأرض ـ جزء من الأرض، والنهار ـ وهو ضوء الأرض ـ جزء من الأرض أيضاً، وهما يكملان هويّة الأرض العامّة.

فإذن الحديث عن الليل والنهار يعني الحديث عن الأرض، لأنّهما من أجزاء الأرض أو ملحقاتها أو أساسيّاتها، ومن خلالهما أصبحت الحياة ممكنة ومعقولة بل وجميلة.

وقد تحدّث الإمام السجّادعليه السلام في أحد أدعيته حديثاً علميّاً رائعاً عن الليل والنهار اللذين يتعاقبان على الأرض، حديثاً يشير أو يلمّح من قريب أو بعيد إلى كرويّة الأرض، فلنَقرأ ما قاله السجّادعليه السلام: حيث قال: «**الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوّته وميّز بينهما بقدرته وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥.

(٣) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٨٥ وص٢٠٣.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩.

وأمداً ممدوداً يولج كلّ واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد»[١].

فالإمام السجّاد عليه السلام يتحدّث هنا حديثاً صريحاً عن مخلوقيّة الليل والنهار اللّذين يلفان الكرة الأرضيّة بقوّته سبحانه، ثمّ يتحدّث عن التمييز بين هذين المخلوقين (الليل والنهار) بأن جعل الله تعالى أحدهما مظلماً والآخر مضيئاً بقدرته وجعل أيضاً لكلّ واحدٍ منهما ساعات محددة لا يتجاوز أحدهما على الآخر، وجعل لهما نهايّة وهي قيام الساعة والقيامة.

ونلاحظ هنا الدقّة العلميّة في مسألة التداخل المذكور في النصّ السجّاديّ: «**يولج كلّ واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد**» والذي جاء على غرار عدد من الآيات القرآنيّة الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...**﴾ والذي فسّره المفسّر الطبرسيّ في أحد معانيه بقوله: «والآخر معناه يدخل أحدهما في الآخر بإتيانه بدلاً منه في مكانه»[٢].

ويمكن أن يدلّ الإيلاج ـ في عمليّة دخول الليل في النهار والنهار في الليل ـ على كرويّة الأرض. يقول الدكتور أكرم أحمد إدريس: «وهناك آيّة تنطق بكرويّة الأرض ألا وهي إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل. فالإيلاج في اللغة هو الإدخال، وفي هذه الآيّة إدخال الليل في النهار وإدخال النهار في الليل، وهذا الإيلاج لا يتمّ مطلقاً إلا في جسم كرويّ، وبالفعل فالليل والنهار يتلاحقان بشكل يدعو للدهشة. فلا تغيب الشمس عن جزء من الأرض ويحلّ فيها الظلام والليل إلا وتشرق وتضيء على جزء مماثل ومساوٍ من الأرض... ولو

---

(١) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص٣٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج٢ ص٧٢٨.

كانت الأرض مسطّحة كيف كانت ستتم عمليّة الإيلاج هذه؟ إذ لو كانت مسطّحة لسطعت عليها الشمس دفعة واحدة. ثمّ عندما تغيب عنها دفعة واحدة، فالإيلاج هو دليل قرآنيّ واضح على كرويّة الأرض»[١].

وفي الحقيقة أنّ نصّ الإمام السجّادعليه السلام في هذا الموضوع يجمع بين العلم والأدب والبلاغة والجمال وروعة الأسلوب، وهو قمّة ما يجود به جاد.

ويتحدّث الإمام السجّادعليه السلام أيضاً عن حالات ومواصفات كثيرة للأرض، منها: تأكيده صلابة الأرض وإحكامها من خلال الجبال الرواسي التي غرسها الباري عزّ وجلّ فيها؛ قال الإمامعليه السلام: «**الجبال الرواسي على صلابتها...**»[٢]، وفي مكان آخر من أدعيته ذكر الإمام السجّاد من الملائكة من وكله الله تعالى بالجبال لكي لا تزول؛ قال الإمامعليه السلام: «**والموكّلين بالجبال فلا تزول**»[٣].

ومما ورد في أحد أدعيّة الإمام السجّادعليه السلام نعْرف أنّه قال بوجود عدد من الأرض أي ذكر كلمة (الأرضين) جمع الأرض مصداقاً لقول الباري عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...**﴾[٤]، حيث قال الإمامعليه السلام: «**وملء سماواتك وما فوقهنّ وعدد أرضيك وما تحتهنّ وما بينهنّ**»[٥].

ففي النصّ المذكور ذكر لأكثر من أرض، (فأرضيك) جمع أرضك، ووجود الأرضين بل والعدد الكبير من الكرات الشبيهة بالكواكب السيّارة والأرض منها هو اليوم حديث العلم والعلماء وعلى مستوى التخصّص الفلكيّ الحديث.

---

(١) الفلك والطبّ أمام عظمة القرآن، د. أكرم إدريس، ص٢٤.
(٢) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص٥٩.
(٣) المرجع السابق، ص٢٨.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٥) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٩١.

وهناك ذكر للأرض في أدعيّة الإمام السجّادعليه السلام غير ما ذكرنا، تصريحاً أو تلميحاً، لا مجال لذكرها هنا، لكن الذي تحدّث به الإمامعليه السلام، هو حديث علمي، وإن جاء عرضاً في سياق الدعاء أو الخطاب أو الحديث.

٥ ـ قمر الأرض

أ ـ القمر والهلال في الفلك الحديث

يعدّ القمر (قمر الأرض) من أقرب الأجرام السماويّة إلى الأرض، ومن أصغر الأجرام السماويّة الشهيرة قياساً ـ مثلاً ـ بالشمس والأرض والكواكب السيّارة والنجوم على عمومها.

وعلى الرغم من حجمه الصغير وأهمّيته الكونيّة (على مستوى الكون) إلا أنّ هذا الجرم الجميل هو جرم واضح وذو أهميّة كبيرة جداً بالنسبة إلى الأرض والإنسان خاصّة.

فمن خلال الأهلّة (جمع هلال) المتعدّدة الممتدّة على طول الشهر القمريّ نستطيع أن نعيّن بدايّة الشهر القمريّ وتسلسله الطوليّ على إمتداد الشهر.

والهلال ـ مفرد الأهلّة ـ هو جزء من القمر أو قوس مضيء رفيع في السماء... وفي اللغة العربيّة يقول الفيروزآباديّ: «الهلال غرَّة القمر أو لليلتين إلى ثلاث أو إلى سبع، ولليلتين من آخر الشهر، ست وعشرين وسبع وعشرين، في غير ذلك قمر»[١].

والهلال وجه من الأوجه العديدة للقمر، يظهر في أوائل الشهر العربيّ ويسمّى الهلال الجديد new moon، وفي أواخر الشهر العربيّ ويسمّى (الهلال القديم). ويمكن رصد الهلال الجديد في الأفق الغربيّ بعد غياب الشمس، أما الهلال القديم فيمكن رصده في الأفق الشرقيّ قبيل شروق الشمس مباشرة»[٢].

والقمر في علم الفلك جرم صغير قياساً بالأجرام السماويّة الأخرى، وأقربها

(١) القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، ص١٠٧٢.

(٢) قاموس دار العلم الفلكيّ، عبد الأمير المؤمن، ص٥٣٣.

إلى الأرض، فيبلغ بعده عنها نحو ٣٨٤،٠٠٠ كيلومتر، وهو جرم عادي جداً، فهو تابع لتابع أكبر هو الأرض التي تتبع الشمس، والشمس هي تابعة إلى المجرة ـ مجرّة درب التبانة ـ وهذه المجرّة هي واحدة من ألف مليون مجرّة تنتشر في أرجاء الكون.

وللقمر عدّة دورانات، فهو يدور حول محوره كما تدور الأرض حول محورها، ويستغرق دورانه حول محوره نحو ٢٧،٣ يوماً، وهو الوقت نفسه الذي يستغرقه للدوران حول الكرة الأرضيّة، ولذلك فالجانب القريب من القمر هو الذي يواجهنا دائماً، أمّا الجانب الآخر البعيد فلم يُشاهده أحد حتى صورته الأجهزة الفضائيّة حديثاً. والمقدار الذي نشاهده من القمر والمعروف بالوجه مرتبط بالمقدار المعرّض لأشعّة الشمس من الجانب القريب.

وقد حظي القمر بدراسات وافيّة، أكثر من كلّ الأجرام السماويّة، وذلك لقربه من الأرض، وقد رسمت له خرائط تفصيليّة عديدة للجانب القريب من الأرض، وفي الستّينات من القرن العشرين أرسل إليه عدد من السوابر الفضائيّة، ووصلت إلى قمّة دراسة القمر حين هبط الإنسان على سطحه سنة ١٩٦٩م وقرأه قراءة مباشرة، وتوافرت للإنسان معلومات كثيرة كشفت الكثير من أسراره وخباياه، وقلبت الكثير من المفاهيم السائدة.

والقمر لا يملك غلافاً جويّاً، ودرجة حرارته تختلف من المنطقة التي تواجه الشمس إلى منطقة الظلّ، ففي المنطقة الأولى تصل الحرارة إلى ١١٠ درجات مئويّة نهاراً، وتصل منطقة الظلّ نحو ١٨٠ درجة مئويّة تحت الصفر ليلاً، وسبب الفارق بين الحرارة والبرودة يرجع إلى وصول حرارة الشمس إلى سطح القمر نهاراً دون أيّ حجاب جويّ، فتتبدّد سريعاً في الليل ليصبح في النهايّة ليلاً بارداً جداً. ولأن كتلة القمر صغيرة صارت جاذبيته ضعيفة قياساً بجاذبيّة الأرض، فهي سدس جاذبيّة الأرض.

وبذلك لا يستطيع الكائن الحيّ المشي بسهولة كما يمشي على الأرض، وقد احتاج رواد الفضاء الذين نزلوا على سطحه نوعاً خاصّاً من الأحذيّة.

وتبعاً لذلك فإنّ سرعة الإفلات من جاذبيّة القمر في حدود (٢،٤) كيلومتر في الثانيّة، وهذا الضعف الجاذبيّ أدّى إلى هروب الغلاف الجويّ القمريّ، وعدم وجود الغلاف الغازيّ عرّض القمر إلى جميع أنواع الإشعاعات والصدمات النيزكيّة.

والقمر هو في الحقيقة جرم سماويّ معتمّ يستمدّ نوره من ضوء الشمس، ويتغيّر الجزء المستضيء من القمر من يوم لآخر في الحجم والشكل، فهو في البدايّة خطّ رفيع مستنير، ويزداد حجمه شيئاً فشيئاً ليصبح كرة تامّة الاستدارة، ثمّ يأخذ بالتناقص ليرجع خطّاً مستنيراً كما كان في البدايّة. وهذا ما يعرف بأوجه القمر أو أطواره.

وهناك معلومات وأرقام ومواصفات أخرى لا مجال لذكرها هنا.

ب ـ القمر والهلال عند الإمام السجّاد عليه السلام

القمر مادّة فلكيّة قرآنيّة كريمة، ورد في القرآن المجيد ٢٧ مرّة ـ كما ذكرنا آنفاً ـ أمّا الهلال فلم يرد في القرآن المجيد مفرداً وإنّما ورد جمعاً أي (أهلّة) جمع (هلال).

ومع ورود القمر والأهلّة في القرآن الكريم أكّد القرآن على التقويم القمريّ (استخدام القمر لحساب الوقت) كمنظّمٍ لعددٍ من العبادات والمناسبات الشرعيّة والدينيّة.

لقد تحدّث القرآن الكريم عن القمر والأهلّة مادّة فلكيّة علميّة لا مادّة فلكيّة تنجيميّة كما في أحاديث المنجّمين والمشعوذين والحضارات الغابرة، تحدّث عن القمر جرماً يجري في فلك أو مدار محدّدٍ، وليس إله يعبد من دون الله

سبحانه وتعالى كما كان يعبد في الحضارات القديمة.

فالقمر في القرآن الكريم هو جرم سماويّ مخلوق لله تعالى، متواضع كسائر المخلوقات الموجودة في الكون لا حول ولا قوّة له، وهذا ما أكّده القرآن الكريم صراحة وفي أكثر من آيّة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١].

والقمر في القرآن أيضاً جرم سماوي يجري، يدور في مدار خاصّ به كبقيّة الأجرام السماويّة الأخرى، وفي مداره هذا لا يتخلّف ولا يخرج عنه ولا يضطرب فيه ولا يتداخل مع المدارات الأخرى، وإنّما له استقلاليّته ووضعه الخاصّ لينتفع به سكّان الأرض.

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٢] وفي هذه الآيّة الشريفة وصف القرآن الكريم أطوار القمر أو أوجهه الهلاليّة المعروفة، من هلال إلى بدر إلى هلال، مشبّهاً الهلال بالعرجون القديم[٣]، وهو وصف رائع، جامع بين الشكل ـ العرجون ـ ونهايّة الشهر ـ القديم ـ وذاكراً في الوقت نفسه منازل القمر، المعروفة لدى العرب وهي ٢٨ منزلاً.

ومثل ما ذكر القرآن الكريم فهم الأئمّة الكرام القمر والهلال، فهموا القمر

---

(١) سورة فصّلت، الآيّة: ٣٧.

(٢) سورة يس، الآيات: ٣٨ـ٤٠.

(٣) العرجون: سمّي بذلك لانعراجه وانعطافه، المصباح المنير، الفيّوميّ، ص٤٠١.

فهماً علمياً وتحدّثوا عنه في مناسبات عديدة، واستندوا إليه في ضبط عدد من المناسبات الشرعيّة والفرائض والأحكام.

فتحدّث الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام في ذلك داعياً للنظر إلى ما في السماء من أجرام وظواهر كونيّة، ومنها قمر الأرض، الجرم الأكثر قرباً إلى الأرض والأكثر وضوحاً والأجمل في سماء الليل الطويلة، وَقدْ رَمى من وراء هذا النظر استكشاف ما وراء هذه الأجرام والظواهر السماويّة من قوّة وقدرة هائلة، خلقتها وجعلتها على هذه الصورة من النظام والجمال. قال الإمام عليّعليه السلام: «**فانظروا إلى الشمس والقمر والنبات والشجر**»[1]، وقال أيضاً: «**وقمرها آيّة ممحوّة من ليلها**»[2]، وقال كذلك: «**والشمس والقمر دائبان في مرضاته**»[3].

ويفرد الإمام عليّ السجّادعليه السلام بين مجموعة الأدعيّة المكوّنة للصحيفة السجّاديّة دعاءً خاصّاً بالهلال تحت عنوان: «دعاؤه إذا نظر إلى الهلال» إضافة إلى ما ورد من متفرّقات هنا وهنا في أدعيته الأخرى تشير أو تلمح إلى القمر أو الهلال.

ففي هذا الدعاء (دعاء الهلال) يذكر مصطلح الهلال بالنصّ دون أن يذكر القمر صراحة: «**وأن يجعلك هلال بركة... هلال أمن... هلال سعد...**»[4] ومعلوم أنّ الهلال هو بعض القمر أو جزء من القمر، وقد يطلق الهلال على القمر إطلاق الجزء والمقصود به الكل.

وقد ورد في هذا الدعاء عدد من المصطلحات الفلكيّة والمواد العلميّة المتعلّقة بالفلك كعبارة: الدائب والسريع ومنازل وفلك والزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإنارة والكسوف وشهر وهلال ويمحقها وسعد ونحس

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥، ص٢٧١.

(٢) المرجع السابق، الخطبة: ٩١، ص١٢٨.

(٣) المرجع السابق، الخطبة: ٩٠، ص١٢٣.

(٤) انظر: دعاء النظر إلى الهلال حيث تتكرر كلمة الهلال، الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٦٣ـ١٦٤.

وأخرى غيرها. وورد عدد من المعلومات العلميّة الصحيحة البعيدة عن المعلومات الرخيصة وخرافات المنجّمين، فالإمام السجّادعليه السلام يخاطب في هذا الدعاء مخلوقاً طبيعيّاً فلكيّاً من مخلوقات الله سبحانه وتعالى الكثيرة التي تدل على عظمة خالقها ومبدعها المطيعة له والمنقادة لأوامره.

فيصف الهلال بالمخلوق المطيع لخالقه سبحانه وتعالى، فيقول الإمامعليه السلام: «**أيّها الخلق المطيع**»[(١)].

ثمّ يصف هذا الهلال المطيع باستمراره وسيره وحركته ودورانه السريع في فلكه بقوله: «**الدائب السريع**»[(٢)].

ثمّ يذكر الإمام السجّادعليه السلام تنقّل الهلال في المنازل القمريّة التي قدّرها الله سبحانه وتعالى في سماء الكون بقوله: «**المتردّد في منازل التقدير**»[(٣)]، أي (منازل القمر). ومنازل القمر موادّ فلكيّة مشهورة في علم الفلك، وهي مواقع قمريّة يوميّة معروفة منذ القدم يجري القمر فيها على وفق حساب دقيق، فيجري خلال دورته الشهريّة حول الكرة الأرضيّة ضمن خطّ محدّد لا يحيد عنه قاطعاً كلّ ليلة ١٣ درجة قوسيّة، نازلاً في كلّ ليلة منطقة محددة بالنسبة إلى النجوم السماويّة، تعرف بالمنزل، وخلال دورته الشهريّة يمرّ أو ينزل في ٢٨ منزلاً، وكل منزلين وثلث المنزل يساوي برجاً واحداً، ومجموعها اثنا عشر برجاً وهي الخطّ الذي تجري فيه الشمس والمعروف بمصطلح (فلك البروج)[(٤)].

ذكر القرآن الكريم المنازل القمريّة بقوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى**

---

(١) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٤) فلك البروج أو دائرة البروج وفي الفلك الحديث تعرف بالدائرة الكسوفيّة وهي خط مسير القمر والشمس والكواكب السيّارة، أنظر: دائرة الكسوف في كتابنا: قاموس دار العلم الفلكي، ص١٩٢.

عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(١).

والمنازل تقع ضمن فلك البروج الاثني عشر الذي يجري فيه القمر ضمناً، وقد لمح الإمام السجّاد عليه السلام إلى هذا الفلك بقوله: «**المتصرّف في فلك التدبير**»(٢).

ثمّ يصف الإمام السجّاد عليه السلام القمر من خلال الزيادة والنقصان مشيراً إلى ظهوره هلالاً نحيلاً ثمّ يزداد تدريجيّاً ليصبح كرة ضوئيّة كاملة (بدراً)، ثمّ يأخذ بالنقصان مرة أخرى ليرجع صغيراً نحيلاً كما بدأ. قال الإمام عليه السلام: «**وامتهنك بالزيادة والنقصان**»(٣)، أي استعملك واستخدمك وجعلك تزداد وتنقص باستمرار.

ثمّ يصف القمر أو الهلال بالطلوع والأفول بقوله عليه السلام: «**والطلوع والأفول**»(٤) وهما مصطلحان فلكيّان يستخدمان إلى الآن فيطلع الهلال أي يبزغ ويظهر ثمّ بعد ذلك يأفل ويغيب ويختفي كسائر الأجرام السماويّة الدائرة في السماء (في فلك البروج).

ثمّ يصفه عليه السلام بالإنارة والكسوف، يقول الإمام عليه السلام: «**والإنارة والكسوف**»(٥) وإنارة القمر إشعاعه نوراً ينير به الأرض والمناطق القريبة منه، وقد التزم الإمام عليه السلام بمصطلح (الإنارة) ولم يقل الإضاءة، مستخدماً تعبير القرآن العلميّ الذي فرق في آياته الكريمة بين نور القمر وضوء الشمس بقوله تعالى: ﴿**هُوَ**

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٦٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص١٦٣.

الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً...﴾[١] وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إنّ الضوء أخصّ من النور، قال: (وقمراً منيراً) أي ذا نور[٢].

وفي مقابل الإنارة يذكر الإمام عليه السلام (الكسوف) (ويريد به خسوف القمر)[٣] وهي ظاهرة علميّة فلكيّة معروفة (وهو ذهاب ضوء القمر بدخول القمر في ظلّ الكرة الأرضيّة)[٤].

ذكر الإمام السجّادهذه الظاهرة هنا في سياقها العلميّ لا التنجيميّ، فالمنجمّون يذكرون الخسوف والكسوف سَبَبيْنِ في حوادث وكوارث أرضيّة ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم يذكر الإمام السجّاد عليه السلام مسألة مهمّة من مسائل القمر والهلال وهي علاقة الهلال بالشهر الجديد وببدايته بالذات، حيث ظهوره في أوّل الشهر القمريّ يعني ابتداء شهر جديد وأيام جديدة ومسائل أو حوادث جديدة، فما أروع تعبير الإمام السجّادفي مخاطبته الهلال بالقول: «**جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث**»[٥].

وبعد هذه المواصفات العلميّة الدقيقة للقمر أو الهلال يخاطب هذا الجرم الجميل مخلوقاً طبيعيّاً من مخلوقات الله تعالى الكثيرة بالقول: «**في كلّ ذلك أنت له** (أي الله تعالى) **مطيع وإلى إرادته سريع**»[٦]، مؤمناً ـ أي الإمام ـ الإيمان الكامل بقدرة الله تعالى وهيمنته على كلّ مقدّرات الطبيعة والكون.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥.
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني، ص٥٠٨.
(٣) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٦٣.
(٤) قاموس دار العلم الفلكي، ص١٨٣.
(٥) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٦٣.
(٦) الصحيفة السجّاديّة الكاملة، ص١٦٣.

مراجع البحث

القرآن الكريم.

١ ـ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق عليّ السباعي، إشراف محمّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسّسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.

٢ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ط٢.

٣ ـ بحار الأنوار، المجلسي، مؤسّسةالوفاء، بيروت.

٤ ـ التراث الفلكيّ عند المسلمين، عبد الأمير المؤمن، جامعة حلب، سنة ١٩٩٢م.

٥ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جار الله الزمخشري، تحقيق سليم النعيمي، ديوان الأوقاف، بغداد، ١٩٧٦م.

٦ ـ رسائل إخوان الصفا، اخوان الصفا، دار صادر ودار بيروت، سنة ١٩٥٧.

٧ ـ السماء والكون في القرآن الكريم ونهج البلاغة، عبد الأمير المؤمن، المؤسّسة الإسلاميّة للبحوث والمعلومات، قم، سنة ١٤٢٨هـ

٨ ـ سيرة الأئمّة الاثني عشر، هاشم معروف الحسيني، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٦م.

٩ ـ الصحيفة السجّاديّة الكاملة، الإمام السجاد عليه السلام، تحقيق عليّ أنصاريان، دمشق، سنة ١٩٩٩م.

١٠ ـ الصحيفة السجّاديّة، الإمام السجادعليه السلام، شرح السيّد عليّ حسن مطر الهاشمي، منشورات ناظرين، قم، سنة ١٤٢٥هـ

١١ ـ الصحيفة السجّاديّة، الإمام السجادعليه السلام، شرح السيّد عليّ حسن مطر الهاشمي، منشورات ناظرين، قم، سنة ١٤٢٥هـ

١٢ ـ علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، كارلو نالينو، روما، سنة ١٩١١م.

١٣ ـ العلوم الفلكيّة عند أهل البيت، د. مازن المؤمن، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٤ ـ فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب في الاستخارات، عليّ بن موسى بن طاووس، تحقيق حامد الخفاف، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٩م.

١٥ ـ فلاسفة الشيعة، الشيخ عبد الله نعمة، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران.

١٦ ـ الفلك والطب أمام عظمة القرآن، د. أكرم أحمد إدريس، مؤسّسة عز الدين، بيروت، ١٩٩٤م.

١٧ ـ الفلك والفضاء في القرآن الكريم، للمؤلف، بيروت (تحت الطبع).

١٨ ـ الفلك والسماء عند الإمام الرضاعليه السلام، عبد الأمير المؤمن (استان قدس رضوي) (نال جائزة ثمينة) وهو محفوظ في خزانة الاستانه، ١٤٢٨ هجريّة (مشهد).

١٩ ـ قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٠ ـ القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسّسةالرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ط٦.

٢١ ـ الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٢ ـ الكون نظرة تراثيّة ومعاصرة، عبد الأمير المؤمن، المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، تصحيح السيّد هاشم المحلاتي وفضل الله اليزدي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م، ط٢.

٢٤ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن المسعودي، تحقيق سعيد محمّد الفحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م، ط١.

٢٥ ـ المصباح المنير، الفيومي، منشورات دار الهجرة (اوفست إيران، قم، ١٤٠٥هـ).

٢٦ ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دفتر نشر كتاب، قم (اوفست طبعة مصر سنة ١٣٢٤هـ).

٢٧ ـ مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي، عبد الأمير المؤمن، مركز جمعة الماجد، دبي، ١٩٩٧م.

٢٨ ـ المنظومة الشمسيّة تراث تأسيسي وحاضر مثير، عبد الأمير المؤمن، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، سنة ١٩٩٧م.

٢٩ ـ موسوعة سيرة أهل البيت (الإمام زين العابدين)، الشيخ باقر شريف

القرشـي، تحقيـق الـشيخ مهـدي القرشـي، دار المعـروف للطباعـة والنـشر، قـم، ٢٠٠٩م.

٣٠ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسةالأعلمي، بيروت، ١٩٧١م.

٣١ ـ نهج البلاغة للإمام عليعليه السلام (ضبط وفهرسة د. صبحي الصالح)، منشورات دار الهجرة، إيران، قم (اوفست ١٤١٢هـ).

٣٢ ـ الهيئة والإسلام، هبة الدين الشهرستاني، دار التعارف، بيروت، سنة ١٩٧٥م.

الفهرس